دستور آداب السلوك إلى

ويليه رسالة الشفاء

الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك

الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

١٢٨٦ - ١٣٥٦ هجرية / ١٨٦٩-١٩٣٧ ميلادية

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

لكل مجتمع دستور يضبط لـه ما يضمن للمجتمع الهناء والرفاء والأمن وحسن المعاملة، والسالكون إلى الله سبحانه أشد الناس حاجة إلى ما به حفظ صحتهم الروحانية ودوامها لتحصيل ما به نيل السعادتين والفوز بالحسنين، والقرآن الشريف والسُنة السمحاء هما الكفيلان بنيل الحُسنين لكل فرد وللمجتمع.

ولما كان السالك إلى الله سبحانه وتعالى، لابد وأن يترك ما لا ضرورة إليه من الدنيا للآخرة، وكان البيان الضامن له بالفوز لنيل مراده، الذى أفرده بالقصد دون غيره، خفياً كنفائس الجواهر فى جوف البحار، وهو عند الخاصة نعيم الآخرة فى جوار الأبرار، وعند آل العزائم رضوان الله الأكبر، وعند الخاصة من آل العزائم تفريد الله بالقصد دون غيره طمعاً فى النظر إلى وجهه الكريم، ولخاصة الخاصة منهم ما لا يُسطر على صفحات الأوراق.

لزم السالك أن يجاهد نفسه قبل الدخول فى الطريق بآداب الشريعة العامة بتلقى العقيدة الحقة من أهلها، وتحصيل الأخلاق الجميلة بفادح المجاهدة، وتحصيل علم الأحكام وحكمها عبادة ومعاملة، ويقوم لله تعالى مُطهراً قلبه من مرض الهوى وسقم الحظ اللذين يجعلان السالك بلاء على إخوانه فى طريق الله.

بيان الواجبات على المسلم

أولاً تحصيل ما به كمال التصديق، الذى هو الإيمان حقاً، لأن الإيمان هو تصديق رسول الله ﷺ فيما جاء به من عند الله تعالى، وبينه لنا ﷺ بالقول والعمل والحال، حتى وضحت العقيدة الحقة، والعبادة الخالصة، والمعاملة الجميلة، والأخلاق الفاضلة، لكل مسلم مهما كان عقله، لأن الله تعالى طالب العامة بالتصديق فقط، وأثنى عليهم إذا هم تشبهوا برسول الله ﷺ عبادةً ومعاملةً وأخلاقاً وسلموا له تسليماً يقتضى كمال التصديق والإيمان، قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ البقرة ٣.

ثانياً تحصيل ما به اليقين بطلب العلم النافع الذى حث الله تعالى على طلبه، وفرضه رسول الله ﷺ على كل مسلم ومسلمة.

العلم والإيمان

بينت لك الإيمان، وعرفتك أنه التصديق بما جاء به النبى عليه الصلاة والسلام، وقد شرحت لك العلم والإيمان فى "معارج المقربين"، وأعلمتك أن النجاة ينالها المسلم بالإيمان بالغيب لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ البقرة ٥.

وليس الأمر كما قرره علماء الكلام من أن طريق معرفة الله تعالى العقل وأن المُقلد كافر، وهذا الحكم إنما دخل عليهم من طريق أنهم جعلوا أن الإيمان علماً من طريق النقل، والعلم علماً من طريق العقل، والحقيقة أن الإيمان شئ والعلم شئ آخر، لأن الإيمان تصديق المخبر فى خبره، والعلم تصور رسوم المعلوم على جوهر النفس، ولو أن تحصيل معرفة الله تعالى لا يكون إلا بالعقل لفاز بها أهل العقول التى اخترعت الصناعات والفنون والحرف المدهشة، ولحرم منها أهل التسليم والإيمان من كُمَّلِ أهل الله تعالى.

والحقيقة إنا نرى أكثر العارفين بالله الذين منحهم الله الحكمة الربانية والمشاهد القُدسية

والأحوال النبوية والهمة العالية فى طلب الله تعالى، واحتقار زخارف الدنيا وزينتها، هم أهل التسليم والاعتقاد الذين يظنهم أهل الكفر بالله تعالى وأهل الغرور به سبحانه وتعالى مجانين، ولو أن معرفة الله كانت بالعقل لسبقنا إليها أهل أوروبا وأمريكا واليابان ممن أشبهوا السمكة غوصاً فى البحار والطيور سياحة فى الجو، والشياطين اختراعاً للآلات الجهنمية الماحقة للإنسان، بل فاقوا إبليس كيداً فى محاربة الحق والمسارعة إلى اطفاء نوره بقوة عقولهم.

طريق معرفة الله تعالى

طريق معرفة الله تعالى: عناية الله أزلاً وولايته سبحانه وتعالى أبداً.

وتتحقق عناية الله تعالى بنا إذا جعل الله نوراً فى قلوبنا نقبل به الحق، وتفضل علينا بمرشد كامل يبين لنا ما خفى من آثار رسول الله ﷺ ويجدد لنا ما اندرس من مناهج السلف الصالح بقوله وعمله وحاله، ثم منحنا التسليم والطاعة له ما دام على ما كان عليه أئمة الهدى من أصحاب رسول الله والتابعين لهم بإحسان رضى الله عنهم أجمعين، فإن غفل نبهناه وإن نسى ذكرناه، وهذا واجب علينا معه لنجاة أنفسنا.

خير نعم الله علينا

خير نعم الله علينا هو سيدنا ومولانا محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ آل عمران ١٠٣، فنعمة الله العظمى التى مَنَّ الله بها علينا هى سيدنا ومولانا محمد ﷺ.

النعمة التى تلى الرسالة

كل إنسان يسارع لنيل نجاته فى الدنيا والآخرة، ولا نجاة للإنسان إلا بالإسلام، فالنعمة التى تلى نعمة الرسالة، تفضل الله على الإنسان بالنور الذى يقبل به ما جاء به النبى ﷺ

قبولاً يجعله مطيعاً مسارعاً لمحاب الله ومراضيه سبحانه.

وولاية الله لنا أبداً، أن يعيننا سبحانه وتعالى على دوام الإقبال عليه، محفوظين من المعصية وأسبابها، وأن يوفقنا للتوبة النصوح بعد المعصية، فإنا لسنا معصومين، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ الأعراف٢٠١.

* * *

الباب الثانى

الأصول التى بها الوصول

أولاً: اتباعه ﷺ

أصل الوصول الذى به نيل محبة الله للعبد والفوز بالحسنين هو اتباع رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ آل عمران ٣١.

إن الله سبحانه وتعالى بين لنا أن الناس قسمان: شقى وسعيد، فالشقى من أشقاه الله فى الأزل، والسعيد من أسعده إلى الأبد، قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ الشمس ٨، والأصل فى ذلك العناية، فمن سبقت لهم من الله الحسنى أقامهم عُمالاً له سبحانه بالإخلاص فى محابه ومراضيه مهما قدر عليهم من المعاصى، وإن سابقة الحسنى لا تقتضى العصمة إلا لرسل الله على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، فهو سبحانه الذى تفضل بالحسنى على من شاء وتولاهم بالعناية والتوفيق والولاية فى هذا الكون، وهو الذى قدر الشقاء على من شاء ووكلهم إلى أنفسهم عدلاً منه تعالى.

وأول عنايته بالسعداء أن يلهمهم حب العلم والعلماء، وينشط أبدانهم للعمل بما علموا، ثم يتفضل عليهم برعاية العلم فى العمل، وبمراقبته سبحانه فى العلم والعمل، ثم يريهم غيوب آياته فى مُلكه وملكوته، فيرفعهم سبحانه وتعالى من مقام الإسلام إلى الإيمان، ومن

الإيمان إلى الإحسان، ولديها يعلمهم ما لم يكونوا يعلمون من أسرار النشأتين وعلوم الحضرتين.

قال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ المجادلة ١١.

وقال ﷺ قال الله تعالى: (مَنْ عَادى لِي وَلِياً، فَقَدْ آذَنتُهُ بالْحَربِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِى بِشَئٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُه عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّب إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبُّه، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنتُ سَمْعَهُ الذِى يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذِى يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ التِى يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِى لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَدْتُ عَنْ شَئٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُدِى عَنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ).

والشقى شقى ولو ولد من أبوين مسلمين وحصل العلم رواية ودراية، فإنه شقى. وكم من عليم اللسان جهول القلب، فإن العلم هو تصور النَفْس رسوم المعلوم، حتى تكون النَفْس عليمة لأنها محل للعلم، كما يكون الثوب أبيض أو أسود لأنه محل للسواد أو البياض، ومتى كانت النَفْس عليمة تحقق الإنسان بخشية الله، وسارع إلى مغفرة من الله وجنة عرضها السماوات والأرض، وتخلق بأخلاق الله من الرحمة والرأفة والحلم والصبر والشكر والكرم والعفو والتوبة والمغفرة والحب فى الله والبغض فى الله والإيثار، وغيرها من أخلاق الله تعالى، التى تجعل العبد مع الذين أنعم الله عليهم، لأنه يكون فى الدنيا بين الله وبين عباده، قائماً مقام الرسل عليهم الصلاة والسلام، ويوم القيامة مع رسل الله، قال سبحانه: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ النساء ٦٩.

ومثل هذا خير للمسلمين من الأمطار، لأن الأمطار تحيى النبات النافع للأشباح، والعالم العامل بعلمه يحيى القلوب، بل وخير من الشمس لأن الشمس تبين بنورها طرق الأرض، والعالم العامل يبين سبل الله تعالى التى بخفائها على الناس يهلكون جميعاً، لا أقول يهلكون بالموت، بل يهلكون بحرمان النجاة يوم القيامة، وليس أضر على الأمة من أربعة أنواع: عالم لا يعمل بعلمه وعابد جهول وتارك للعلم والعامل والذى يصد الناس عن العلماء.

وفى الموطأ قال لقمان لابنه: (يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله تعالى يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل المطر). وقد فرض الله على عباده أن يتدبروا آياته المتلوة المسموعة، وآياته المرئية المشهودة فى الكائنات، ليجمع الله لهم نور حكمته وقدرته فى قلوبهم فيكمل توحيدهم، وتعظم محبتهم لله تعالى بشهود أنوار القدرة، ويسارعون إلى العمل بمحاب الله تعالى ومراضيه، والمحافظة على اتباع رسول الله ﷺ، بشهود أنوار الحكمة، وهى دلائل سابقة الحسنى، ولا أدل على تلك السابقة من المحافظة بدقة على اتباع رسول الله فى السر والعلن، وفيما هو على المسلم وله.

وأسعد الناس فى الدنيا والآخرة، من تحقق أن رسول الله ﷺ أولى به من نفسه، فقهر نفسه وهواه اتباعاً لرسول الله ﷺ فى الشدة والرخاء والسر والجهر، وما ترك من الجهل شيئاً من أغضب مولاه باتباع هواه.

اتباع رسول الله ﷺ به نيل محبة الله للعبد المتبع، فمن يرضى أن يُحْرَم محبة الله له بمخالفة حبيبه، حكم على نفسه بالشقاء الأبدى.

الاتباع الذى أراده الله تعالى فى تلك الآية الشريفة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ آل عمران ٣١، ورتب عليها محبته للعبد محسوب فى أصلين عظيمين لا إسلام بدونهما:

١ تصديقه ﷺ

أن نصدق رسول الله ﷺ، تصديقاً يمحق كل شبهة حتى يقوى الإيمان بخبره عن الله تعالى، قوة تجعلنا نسلم له ﷺ تسليماً لا يشوبه ظلمات شُبَه نزوع النفوس، ولا ضلالات أباطيل شياطين الإنس، ولا بهتان أهل الأوهام الظانين بالله ظن السوء، من مذاهب أهل الملل والنحل الذين يفترون على الله الكذب، وهم المغضوب عليهم الذين اتخذوا هواهم إلههم من اليهود والصابئة، وغيرهم ممن أضلهم الله على علم، ومن مجوس هذه الأمة الذين اتخذوا القرآن مهجوراً، وأضروا المسلمين بآراء أهل الكفر بالله من اليونان والإنجليز

والفرنسيين وغيرهم من عبيد المادة والحاكمين على الله بحسهم وأوهامهم.

ولا يعترى هذا التصديق القوى سخافة الضالين الذين قالوا بالحلول وبالتثليث، من البوذيين والبراهميين والبابليين والآشوريين وغيرهم، ممن عبدوا إنساناً قبل موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقبل الخليل عليه السلام، وقدسوا معبودهم الإنسان، حتى قالوا أنه مثلث الأقانيم وسموها الآب والابن والروح القدس.

ولا تزال تلك العقيدة وقد انتحلها النصارى، فشوهوا بها دين المسيح عليه السلام، ولا عجب فإن الإنسان دينى بالطبع، ولا وصول له إلى الحق إلا بما جاءنا به من عند الله تعالى على لسان نبيه ﷺ، فالعقيدة لا يمكن تحصيلها إلا بتصديق رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ الأحزاب ٤٠.

قررت تلك الآية الشريفة أنه لا نبى بعد رسول الله ﷺ. وهذا الحكم جزء من عقائد الإيمان، فلا يكون المسلم مسلماً حقاً إلا إذا صدق أنه لا نبى بعده ﷺ، وقد أثبتت الحقائق هذا الحكم، لأن سنة الله فى خلقه أن يرسل الرسل تترى. وقد يرسل رسلاً كثيرين فى زمان واحد، بل وفى بلد واحد، حتى ختمت الرسالة بالحبيب المصطفى ﷺ، وقد تفضل الله تعالى على الأمة فحفظ فيها ولها أنوار حبيبه خاتم الأنبياء وحفظ لنا أسراره.

قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ الحجر ٩، وقال تعالى: ﴿فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ الحجرات ٧، وقال جل جلاله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ المائدة ٥٤.

وقال ﷺ: (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِى وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِن بَعْدِى) وفى الحديث الشريف: (اللَّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِى)، وفى حديث الموطأ: (وَاشَوْقَاهُ لإِخْوَانِى الَّذِينَ لَمَّا يَأْتُوا بَعْدُ).

هذا وقد أنزل الله تعالى الأمة منازل الأنبياء، قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ آل عمران ١١٠، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة ١٤٣، يعنى عدولاً تشهدون على الأمم يوم القيامة، وقال سبحانه : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج ٧٨، فرفع الحرج عنا فى الدين لما جعله فى قلوبنا من النور الذى حفظنا به، فلنا الحفظ من الله تعالى بنوره وعنايته كما عصم الأنبياء بعنايته وحبه سبحانه.

بينت لك أن الأصل الأول هو تصديق رسول الله ﷺ تصديقاً مؤيداً باليقين الحق حتى لا يشوبه شبهة، فإن الشبهة تمحق العقيدة محقاً.

ومسلم يصدق رسول الله ﷺ فيما جاءنا به من عند الله ثم تعتريه شبهة ينازع فيها عقله الكاسد أو رأيه الفاسد أو يدفعه إليها إصغاء إلى شياطين الإنس ليس بمسلم، فأخوف ما يخاف المؤمن على نفسه من رجل مُضل يلقى شبهة فى دينه.

٢ امتثال أوامر الله تعالى

أما الأصل الثانى فهو امتثال أمر الله وإطاعة رسول الله ﷺ. وإنما تتحقق الاستقامة ممن كملت عقيدته وطهرت من الشبهة، فإن أنوار العقيدة تجعل للمؤمن طمأنينة قلب بما وعد الله به، فيكون كأنه مشاهد للجنة ونعيمها وللنار وعذابها، فيسارع إلى ما يقربه من الجنة ويبعده عن النار. وإنما تَحْسن الطاعة وتحلو الاستقامة لعبد حفظه الله من الشهوة، فإن الشهوة أعاذنى الله وإياكم تمحق الاستقامة محقاً، وتجعل العابد يعمل لغير الله.

وكما أن الشبهة مفسدة للعقائد فكذلك الشهوة مفسدة للعبادات، وكم من عابد عامل وهو إنما يعبد شهوته.

إذن فالأصول: التصديق والعبادة، وآفة التصديق الشبهة وآفة العبادة الشهوة، والمخلصون على خطر عظيم.

ولما كان الإنسان مطالب بالعبادة الروحانية والجسمانية، والعبادة الروحانية هى نتيجة قوة الإدراك والنظر، ومبدؤها التصديق، ثم قوة الإيمان ثم اليقين الحق، الذى يتفضل الله به على العبد بالعرفان والحب والرهبة والرغبة والتوكل والمراقبة والمشاهدة حتى يتجاوز مقامات السالكين، إلى أن يكون قريباً من الله والله قريباً منه، متحققاً بمعية الله له.

وبعيشك أيها الأخ ما تقول فى مؤمن يرى الله معه حيث كان وكيف كان؟ لعلك تقول: إنه لا يغفل إذا غفل الناس، ولا ينسى إذا نسى الناس، بل ولا يقع فى أمر يخالف الشريعة، لأن الإنسان الفاجر يستحيى أن يعمل منكراً أمام إنسان نظيره، فكيف بالحاضر مع الله المشاهد لمعيته.

وقد جهل كثيرون سر الطريق إلى الله تعالى، فادعوا دعاوى باطلة، فمنهم من يقول: أنا أحب الله وهو إنما يحب شهوته، ومنهم من يقول: إنه عابد، وهو إنما ينفذ عادته.

وليس المسارع إلى العادة كالقائم بالعبادة، فصارت العبادة عادة وصارت محبة الله طمعاً.

ومحبة الله شئ آخر، فإن محبة الله تجعل المحب مقبلاً بالكلية على الله، لا يلتفت ولا إلى الجنة.

فمن ادعى المحبة ورغب فى الدنيا فهو كاذب على نفسه، والعابد حاضر مع الله بعبادته مشاهداً عظمة وكبرياء المعبود جل جلاله وحقارة وذلة نفسه. فكيف يخطر على قلبه غير المعبود جل جلاله فى وقت عبادته! فمن ادعى أنه يعبد مع غفلته عن سر العبادة، فليس بعابد وإنما هو عامل لمعتاده.

أما العبادة الجسمانية فإنها الحركات والسكنات والأقوال، أو التروك كالصيام وكترك كثير من المباحات خوفاً من الوقوع فى الشبهات، وتلك العبادة لا تكون مقبولة إلا إذا كانت مطابقة لما كان عليه رسول الله، صادرة عن رعاية الله فى عملها، ومع مشاهدة الروح لحقيقتها، ولما فيها من الحكمة الموجبة لكمال الخشية والرهبة، حتى يكون العابد عاملاً بجسمه وروحه على صراط الله المستقيم، فمن عمل بهواه ورأيه أو تحرك جسمه وغفل قلبه،

فليس بعابد قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ الزمر ٣، وقد شرحت لك واردات الصلاة وما كان عليه السلف الصالح فى حال العبادة فى كتاب "معارج المقربين" فراجعه إن شئت.

وإنما تصح العبادة ممن ذاق حلاوة محبة الله وصحت إرادته. والمعتاد عمل العبادة من غير حضور، يجب أن يتدارك نفسه بصحبة العارفين ليذوق شيئاً من العلم بالله تعالى والعلم بنفسه.

ثانياً: المجاهدة

المجاهدة واجبة على كل مسلم، ليحصل التوازن بين الجسم والروح، حتى يتجمل بحقيقة العبادة الجامعة للروح والجسم، ومن أهمل نفسه من المجاهدة، تسلطت عليها فطرها، وقادها الحظ والهوى، وقهرها إبليس، فجعل عبادتها عادة وشهوة، وجعل محبتها أطماعاً وآمالاً. ومؤمن يعبد الله ليدخل الجنة عبد غير الله. فكيف بمن يعبد الله ويسهر ويصوم لينال الدنيا أو ليأخذ من الناس العوائد والهدايا! وسأشرح لك شيئاً من المجاهدة بعد هذا الدرس أن شاء الله تعالى مفتتحاً بقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت ٦٩.

معرفة النفس

المبتدئ فى طريق آل العزائم، يغذى بلبان العلم فى طفوليته، حتى تنكشف له حقيقة نفسه الحيوانية، فيعلم أنه من طين أو ماء مهين، والماء لوالده وما زاد عليه من لحم ودم فلأمه، بقدرة الله وحسن تدبيره وقوته وكمال تقديره، وما زاد على ذلك من حياة وسمع وبصر وشم وذوق ولمس وعقل وقوة قابلة للعلم والتعلم، فهو من الله بفضله، ثم ينظر فى الكون المحيط به فيرى بعين اليقين أن الله تعالى انفرد بإيجاده بعد العدم، وانفرد جل جلاله بإمداده بكل شئ فى نفسه وبكل شئ حوله، فيتحقق عدمه لولا الله تعالى، ويتعين اضطراره إلى الله فى كل نَفَسٍ، قال رسول الله ﷺ فى يوم الخندق وهو يحمل التراب على كتفه الشريف:

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَـــأَنـــزِلَـنْ سَكِـيـنَـــة عَلَـيْـنَـــا وَثَـبِّـتِ الأَقْـــدَامَ إِنْ لَاقَـيْـنَـــا
إِن الآلَى قَـــدْ بَغَـــوْا عَـلَـيْـنَـــا إِذَا أَرادُوا فِـتْـنَـــةً أَبَـيْـنَـــا

والمريد فى طريق آل العزائم إنما يتعلم ليعمل بعلمه، فإذا علم مبدأه تغذى بعلم نهايته، فتصور البداية والنهاية فى كل أنفاسه بعد تحققه بأن إيجاده وإمداده من الله وبالله، وأن الله تعالى إنما خلق الإنسان ليعبده سبحانه، فيذوق انفراد الله تعالى بالوحدانية فى ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو الله الخلاق الرزاق المحيى المميت الفاعل المختار، ويميز بهذا العلم ما ينسبه إلى نفسه من العمل، وما يشاهد أنه من الله جل جلاله، كما قال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾ الواقعة ٥٨ -٥٩.

عجائب القدرة

بينا لك أيها السالك فى طريق الله تعالى، أن الله تعالى انفرد بإيجادك من العدم، وإمدادك بالفضل، ونسب إليك ما لا يحدث إلا بك فى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾ الواقعة ٥٨ -٥٩.

فنسب لك الإمناء، وأثبت له سبحانه الخلق، لأنه جل جلاله هو الخلاق.

ثم قال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ الواقعة ٦٣-٦٤، فأثبت لك الحراثة لأنها تحتاج إلى محراث وأيد تعمل، وأثبت له سبحانه وتعالى الزرع لأنه محتاج إلى قدرة الله وحكمته، لتعلم ما لك وما له سبحانه.

ثم قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ الواقعة ٦٨-٦٩، أثبت وجود الماء سبحانه، وأثبت لنا الشرب منه، ثم أثبت لنفسه سبحانه إنزاله من المزن، وأنه بقدرته جل جلاله، جعله ماء حلواً عذباً سائغاً للشاربين ولم يجعله ملحاً أجاجاً.

ثم قال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ الواقعة ٧١-٧٣، أثبت سبحانه وجود النار، وأثبت أننا نوقدها

للانتفاع بها، ثم أثبت لنفسه سبحانه إنشاء شجرتها.

فبين سبحانه تلك الحقائق التى هى حراثة الأرض والماء والشجر والنار وهى أصل كل الخيرات التى لا غنى للإنسان عنها، فبالنار أيها الإنسان أمكنك أن تصنع طعامك وكل ما تحتاج إليه لبقاء حياتك، ثم ولدت بها الكهرباء، واخترعت بها ما به طرت فى السماء، وغصت فى البحار، وما دفعت به أعداءك من الأسلحة وغيرها.

كل ذلك بسبب النار، وقبل معرفة النار كان الإنسان مع الآثار فى حروب مهلكة، وكم مضى على الإنسان من قرون فى بدايته، كان فى حرب فادح فيما بينه وبين الآثار الجوية، ثم بينه وبين الوحوش والحيوانات المفترسة، حتى أظهر الله النار التى خزنها له من حرارة الشمس كما بينت لك.

هذا نَظَر من ذى فكر فيما حولك مما هو جلى، وهو الإمناء والزرع والماء والنار، وكل حقيقة من تلك الحقائق لو فُك رمزها عن كنوزها الإلهية، لارتد البصر خاسئاً حسيراً عن فهم ما فيها من الأسرار، فضلاً عن أن يردك حقائقها من الأنوار، وهى المحسوسة الملموسة التى لا تفارق الإنسان نَفَساً، فكيف لو كُشِفَ للإنسان غيوب النفس التى هى نفخة القدس، وكيف يذوق حلاوة كونها فى الهيكل الإنسانى، وأنها باتصالها به سجدت له الملائكة، وسخر له ما فى السماوات وما فى الأرض جميعاً منه، وأقامه ربه مقام الخليفة عنه، متصرفاً فى عوالم مُلكه وملكوته بإذنه سبحانه وتعالى، ثم يكرمه بعد ذلك فى مقام الأُنس على بساط منادمته فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، متنعماً بشهود جمال ربه، مبتهجاً بجوار الأطهار من المُصطفين الأخيار من المجتبين، أو يقيمه مقام السخط والبُعد، فى جحيم الحسرة والندامة ولهيب الخيبة، محروماً مما أعده الله له لو أنه سمع وأطاع وقام لله بما استطاع.

وإنما ذكر الله تلك الحقائق الأربعة التى هى الإمناء والزرع والماء والنار، لنعلم أن كل شئ فى الوجود، خلقه سبحانه لننتفع به، لأننا عبيد محتاجون إلى فضله العظيم، وإحسانه العميم. ومتى تحققنا بتلك الحقائق عرفنا أنفسنا، لأن أصلنا الماء المهين وهو للوالد والذى

خلقه وصوره فى الأرحام هو الله تعالى، كما أنه سبحانه هو الذى خلق لنا كل شئ، فالواجب علينا أن نشهد عجائب قدرته، وغرائب حكمته فى كل شئ، حتى لا نرى شيئاً من الأشياء، ولا نسمع صوتاً ولا نشم رائحة ولا نذوق ذوقاً ولا نحس بمحسوس، إلا ونشاهد فيها علىَّ آياته وجَلِىَّ حُجَجه، ونعلم أن الذى خلق كل شئ لنا لننتفع بما أبدعه فى الأشياء مما لابد لنا منه فنذكره ولا ننساه ونطيعه ولا نعصاه ونشكره ولا نكفره، جل جلاله وتقدست صفاته وأسماؤه.

النفس

إذا فهمت ذلك يا أخى، فالنفس هى اللطيفة النورانية بل الجوهرة الربانية، بل هى الحقيقة التى هى أمانة الله المشرقة أنوارها فى هيكل الإنسان، يعرفها من عرف نشأته الأولى، وتحقق أن أسفل سافلين مفارق لأعلى عليين، وكيف جمع الله بين أعلى عليين وأسفل سافلين بقهر واقتدار، وجعل أسفل سافلين يرتقى حتى يُخْدَم بالملائكة المقربين فى جوار رب العالمين.

اسجد أيها العقل موقناً بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ النحل ٧٨، وجاهد أيها الجسم حتى تحرق زبد العناصر، وأوقد نار المجاهدة على ما يمكث فى الأرض ليتجرد الجوهر النفيس من كدرات الجسم الكثيف، وتحصل المجانسة التقريبية، لأن النفس جوهرة ربانية صافية نورانية، فإذا صفا الجسم حصل له بالنَفْس تشبه فاتصل بها واتحد، وعرف نعمة الله عليه واعتقد، فعجز عن شكره حيث جعله مشكاة مثالية، وكونه من أركان الوجود السفلية والعلوية، فكان وهو الجسم الصغير العالم الكبير، مُراد الله بدءاً وجاره فى مقعد صدق ختماً. وهنا أبين لك سر جذب العناية ومراتب السلوك إلى ملك الملوك.

جذب العناية للولاية

قف عند الوارد فيما غاب عنك، وتأدب للوارد فى الشهادة، والوارد ما ورد عن الله تعالى ورسوله وأئمة الهدى.

والغيب غيبان: غيب محجوب بالحظوظ والأهواء، وغيب رُفع عن الإدراك بالعقول والأبصار، عظمة وعلواً وقدراً.

ومن الغيب المحجوب بالحظ والهوى (القَدَرُ) بفتح الدال الذى هو سر من أسرار القدرة، ومن أيام الله تعالى وآياته الجلية فى مكوناته. ومنه الحقائق التى وعد بها المؤمنين والتى توعد بها الكافرين.

أما الغيب الذى رُفع عظمة ومجداً (فالقَدْر) بسكون الدال لأن القَدَر بفتح الدال غيب، ولكنه يشهد لمن جعل الله له نوراً. كما أن القدرة تشهد بمراتبها. فقد تشهد بالآيات فى الكائنات، وقد تشهد بالأنوار فى التجليات، وقد تشهد فى مقامات القرب، قال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ق ٢٢.

وقد أشهد الله تعالى الأرواح جماله العلىَّ بدءاً، ثم حَجَبهم عنه عظمة وعلواً وقدراً لا جفاء وصداً. فكان شهودهم إياه فى مقام التجريد داعياً إلى احتراق قلوبهم شوقاً إلى الحميد المجيد، وكان احتجابهم لعلوه وعظمته ورفعته، موجباً لتحققهم بجمال العبيد، ليرفعهم إليه قدراً، فحجبهم عنه لعلوه، وفصلهم عنه ليرفعهم بحبه لهم وحبهم له، بما جملهم به من الصفات المحبوبة له سبحانه، فهم العبيد المحبوبون للعلى العظيم الحميد المجيد، يحبهم سبحانه وينظر إليهم، فهم أقرب إليه منهم إلى أنفسهم، ويحبونه سبحانه ويشتاقون إليه، وهو معهم وعندهم حناناً وعطفاً، وبعيداً عنهم عظمة وعلواً، هذه مراتب الغيب والقائم فيها محصن بالوارد لا يتعداه، لأن العلم بالله أحرق القلوب بنار الخشية منه سبحانه.

* * *

الأدب الوارد فى الشهود

قدمنا أن الوارد كتاب الله تعالى وسُنة رسول الله، ومن كشف الله عنه غطاءه فى الدنيا شهد. ولكن ما الذى شهد؟ شهد بدائع إبداع أسرار القدرة، وسواطع أنوار غيوب الحكمة،

فشهد أسرار حكيم قادر فلم تستر أنوار شمس القدرة أضواء الحكمة فيتيه السالكُ، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ الفرقان ٦٧، وإن كان هذا المقام فيه ارتشاف خمر الحيرة وقويٌّ بواعث المحنة، إلا أن الله سبحانه وتعالى يمنح السالك برزخاً يحفظه به من التيه فى أرض الطبع، أو من تجاوز الأدب بصولة القدرة مع الشرع، قال تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ الرحمن ٢٠.

والبرزخ لأهل التمكين هو الوارد، والوارد عرفتك به أنه كتاب الله وسُنة رسول الله، وعند أهل التلوين هو المدد بروح الإلهام من مرشد كامل أو وارث عامل، قال سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ الأنعام ١٢٢، بالتسليم للحق والخضوع لسلطان الشرع ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ الأنعام ١٢٢، حياة القبول ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ الأنعام ١٢٢، وهو إلهام فى مقام التمكين وفقه فى مقام التلوين، وسماع بالتسليم من المرشد أو العالم العامل ﴿يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ الأنعام ١٢٢، محفوظاً بعناية الله من الغفلة أو الإلباس ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الأنعام ١٢٢، جمع الظلمات لكثرة أنواعها من ظلمة الحس وظلمة الجسم وظلمة النفس الأمارة بالسوء وظلمة الحظ والهوى والشح وغيرها، التى اقتضتها الحقائق التى كُون الإنسان منها، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ الأنعام ١٢٢، لأن الحقائق التى فى الإنسان تستحق الدرك الأسفل من النار بنفسها، إلا إن سبقت للإنسان الحسنى من الله تعالى فإنه يهديه ويواليه ويخرجه من الظلمات إلى النور.

الزم الوارد وإن شهدت كل المشاهد

أنت عاجز عن تحصيل ما مُنحت القدرة على تحصيله إلا بمعونة من الله وعناية فكيف تُحصل الغيب المصون بجهادك واجتهادك؟! فالزم حصون الشريعة متأدباً لها، وإن قربك ربك وناجاك، وصرفك فى الملك والملكوت ووالاك. فإن إحسانه عليك يقتضى شكرك إياه، ليمنحك المزيد من فضله وجدواه. وقد صورك بيديه وكنت طيناً أو ماء مهيناً، ونفخ فيك من روحه فضلاً منه وإحساناً، وأسجد لك الملائكة تكرمة لك وبك حناناً، ولم تكن شيئاً مذكوراً فالزم أعتاب العبودية، يمنحك خير العطية، واعتبر بإبليس الرجيم، وكان مقرباً علياً، فاغتر بعنصره فارتد مدحوراً ولُعن مقهوراً. واعلم أن الورود بالوارد، والوصول بالمحافظة على الأصول. والله يتولانى وإياك ولاية الحبيب لحبيبه بجاه حبيبه ومصطفاه ﷺ آمين.

الوارد

الوارد نوعان: وارد من الله سبحانه عليك، ووارد منك بعناية الله تعالى له سبحانه، وقد بينت لك الوارد من الله تعالى.

الوارد من أهل الصفا

والوارد من أهل الصفا هو الوارد الذى يشرح الله صدورهم للقيام به من التقرب بالنوافل والمسارعة إلى الفرائض والمندوبات. وأحب ما يقوم به أهل المقامات إلى الله تعالى عمل الفرائض فى أوقاتها، والفرائض إما أعمال قلبية كعقود التوحيد ومراقبة الله تعالى فى السر والعلن، وتصريف النوايا والقصود والإخلاص فى العمل والصدق فى المعاملة والخشوع والخوف والخشية والرهبة، وحسن الظن بالله تعالى وسوء الظن بالنفس، وأعمال الجسم كالصلاة والصيام والزكاة والحج، والأخلاق الجميلة كالبر والصلة وحسن المعاشرة والمعاملة والوفاء بالوعود.

وكل ما أوجبه الشرع الشريف أو اقتضاه الوقت أو الحال والشأن صار واجباً، كمجاهدة الأعداء، ومجاهدة النفس، قال ﷺ فى الحديث القدسى: (مَنْ آذى لِي وَلِياً، فَقَدْ آذَنتُهُ بالْحَربِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِى بِشَئٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُه عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّب إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذِى يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطِشُ بِهَا..) إلى آخر الحديث، فإذا وفق الله المؤمن فحفظ له أنفاسه.

رابعاً: الصُحبة فى الله

الصُحبة لغة الملازمة، فمن لازم شيئاً فهو مصاحبه، والصحبة تتحقق ولو بالرؤية، أو المجالسة بشروطها عند الأصوليين.

الصحبة عند الصوفية هى طلب الرفيق المعين على الطريق، المؤنس فى الغربة المعين فى

الكربة، ومن لا صاحب له فهو تائه فى أودية الغواية، وقد جعل رسول الله ﷺ المنفرد شيطاناً.

إنما الصحبة بالأدب

السالك يلتمس صاحباً له ليتأدب بآدابه، وإنما دوام الصحبة بالأدب، قال رسول الله ﷺ: (أَدَّبَنِى رَبِّى فَأَحْسَنَ تَأْدِيبى).

الأدب عند الصوفية التشبه بالكمال الروحانى، بفادح مجاهدة النفس حتى تخرج النفس من عوائدها الحيوانية ورذائلها الإبليسية، فتكون أشبه بعالم الملكوت بعد تجردها.

ومعلوم أن السعادة فى الدنيا والآخرة للإنسان متوقفة على الأدب الذى به يجمل حاله ومآله مع الحق والخلق، والأدب عند الناس هو تكلف النفس الأخذ بالمروءة فيما بينهم، ليكون ذو المروءة سيداً مطاعاً فى قومه، أما الأدب فى الدين فهو كمال التمسك بالسُنة تمسكاً يجعل الإنسان يراعى أنفاسه، والأدب عند أهل المحبة حضور القلب مع المحبوب، والمسارعة إلى مراد المحبوب، وتلك المراتب متصلة ببعضها، فمن لا مروءة له لا يعمل بالسُنة، ومن لم يحافظ على السُنة لا يتجمل بالمحبة فلا يراقبها، والمتأدب عظم مقصده، ومقصد الرجال فضل الله ورضوانه الأكبر، وطالب رضوان الله الأكبر يكاد قلبه يذوب إذا وقع فى هفوة، لأنه مشاهد لمولاه جل جلاله، أو موقن أن الله يراه، لأنه موقن أن الله معه ومن يرى الله معه كيف يخالف أمره!

آداب الرجال

آداب الرجال فى الخلوة والمجتمع، وفى الأكل والشرب والنوم، وفى الحِل والسفر، ومع الوالدين والأهل والولد، وفى المعاملة جميعها، رعاية أن الله مطلع على الإنسان، وحاضر معه حيث كان، فيجتهد مريد الحق سبحانه أن يعمل فى كل شأن ما يرضى به المطلع عليه الحاضر معه، فيخاف الله فى خلقه ولا يخاف الخلق فى الله، وهو أكمل الأدب، وقد فصلنا الأدب بإطناب فى كتاب "موارد أهل الصفا".

آداب الجلوس مع الإخوان

السالك فى طريق آل العزائم، أحرص الناس على أنفاسه أن تنفق إلا فى تحصيل الخير لنفسه، مسارعاً لنيل قصده لا يلتفت إلى غيره فى سلوكه وسيره.

فإذا جلس مع إخوانه جلس مُحصلاً لا مُوصلاً ومكتسباً لا منفقاً وطالباً لا مطلوباً ومجاهداً لأعدائه فيه لا مغروراً مخدوعاً، ومريضاً يستشفى لا طبيباً يعالج.

فإذا صال عليه الحق بصولة البيان وقهره الحال، وجب عليه أن يفقد وجوده بوجود شهوده، حتى إذا ارتفعت صولة الحق ورجع إلى الخلق، حفظ مكانته ولزم الأدب مع الله بلزوم شريعته، ولاحظ حضرة الإطلاق وخاف على نفسه خوفاً ممزوجاً بالرجاء.

فإذا شهد وجوده وظهرت له خصوصيته، وجب عليه أن يلزم الأعتاب، ويتجمل بالآداب، فإن مراد السالك القبول، والغيبة عن الخلق بالحضور مع الله تعالى، فمن غيبه علمه وحاله وبيانه عن الحضور مع الحق، فعاند أو جادل، أو اصطفى لنفسه إخواناً، أو ظن أنه كمل فقام ليكمل غيره، خلع حُلل السلوك وحُرم السير إلى ملك الملوك، وهذا هو المرض الإبليسى.

ومن لم يتدارك نفسه فى هذا التيه، بتعاطى الأدوية المُرة من يد المرشد أو النصوح المخلص من إخوانه، رُد عن الجناب إلى الأعتاب أو إلى رعى الدواب، نسأل الله السلامة.

آداب السالك مع نفسه

والسالك فى طريق آل العزائم أشد الناس عناية بنفسه، وأسرعهم طلباً للشفاء، قال ﷺ: (من تَطَبَبَ فَقُتِلَ فَهُوَ ضَامِن)، وسالك ينسى خير نفسه ويصرف أنفاسه فى مخاصمة أخيه، جُرِّد من معاليه، ورجع إلى الحظ والهوى، فابدأ بنفسك أيها السالك وأدم رعايتها فإنها أعدى عدوك، قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ الشمس ٧-١٠، أسأل الله سبحانه أن يزكى نفوسنا.

نصيحة المرشد

السالك فى طريق آل العزائم آخذ بالعزيمة ما استطاع، فإن الرخصة عند مقتضاها تكون عزيمة، كالتيمم للصلاة وقصر الصلاة للمسافر، وكعمل ما تبيحه الضرورات شرعاً.

والسالك فى طريق آل العزائم يجب أن يخرج من عوائده ومألوفاته التى لا تدعو إليها الضرورة الإنسانية، من الأعمال التى ينوى بها رفع قدره بين الناس، بنظره إليهم نظراً يحجبه عن الحق، وبالتزين بالرياش والزخارف، والحرص على شهى الطعام والشراب إلا مادعت إليه الضرورة، لحفظ الصحة أو إعادة العافية، وترك زيارة أهل الغفلة ممن شربوا خمرة الدنيا والحظ والهوى فأسكرتهم، وبترك الجدل ومماراة الناس وموالاة غير الأتقياء، ولكن يدارى الناس ما استطاع.

والسالك فى طريق آل العزائم يجب أن يكون أحرص الناس على صحته الروحانية، فيبخل بنَفَس واحد يصرفه فى غفلة أو أمل فى الدنيا أو حظ نفسانى، فيعمل فى الدنيا لتكون وسيلة للآخرة، ويجالس الناس لينتفع منهم، أو ينفعهم نفعاً يدوم أثره يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والسالك فى طريق آل العزائم أحرص الناس محافظة على القيام بما فرض الله تعالى، لأنه يفوز فى صلاته وصيامه وزكاته وحجه بأعظم قصوده، من مواجهة محبوبه سبحانه، والأُنس على بساط كرامته، لأن السالك فى طريقنا إذا جمله الله تعالى بأعلى الأحوال وأسماها، وأطلق لسانه بالحكمة وفصل الخطاب، ومنحه التصريف المطلق، لا يخرج عن آداب العبودية، لأنه يعتقد أن سجدة واحدة من صلاته يحضر فيها قلبه مع ربه قرباً وشهوداً، خير من خير المقامات، فكيف يرضى بحال يحجبه عن مقام يحبه الله تعالى! خصوصاً وأن تلك الأحوال إنما هى نتائج الإخلاص فى الأعمال.

وعمل يخالف شريعة الله يسلب الاستقامة والتوفيق، أعاذنى الله وإخوانى فكيف بمن خالف أمر الله فيما فرضه؟! والله إنما يعطى ما عنده لمن أطاعه سبحانه، وحال تنتجه

المعاصى استدراج للهلاك، حفظنا الله وإخواننا، قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ القلم ٤٤-٤٥.

والسالك فى طريق آل العزائم، يُحَصل العلوم النافعة للعمل بها، قال رسول الله ﷺ: (فَضْلُ العِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِن فَضْلِ العمل).

علامة العارفين من آل العزائم

١ صغر نفسه فى نظره وإن عظمها الله بين الخلق، لأنه بالمعرفة عرف نفسه بدءاً ونهاية، فلا يجهل أنه من طين أو ماء مهين، ولا يشك فى أن مرجعه إلى الله تعالى، وأنه يجهل ما سبق له فى القدر، فهو يخاف من تقدير السوء أولاً وخاتمة السوء آخراً، أعاذنى الله وإخوانى.

٢ أن يستر شهود وجوده بوجود شهوده، والمشهود إما آيات الله أو نوره سبحانه فى السماوات والأرض، أو جماله الجلى فى نفسه، أو مكانة السالك التى بها هو عبد الله تعالى.

٣ أن ينظر إلى الناس بعين الرحمة وإلى نفسه بعين الخشية، فيرى الناس جميعاً خيراً منه وإن كانوا عصاة لأنه لا يدرى بما يُختم لهم.

٤ احتقاره لأعماله وإن عظمت لأن مراد آل العزائم القبول لا الإقبال والقبول مجهول، وكم من مقبل رُد قبل الوصول، ومن مُجد حُرم القبول، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أخلاق آل العزائم

السالك فى طريق آل العزائم فى جهاد أكبر مع حقائقه التى ركب منها، فيجاهد قواه الجمادية ليكون نشيطاً متحركاً للخير، وقواه النباتية ليكون متألماً من المعاصى، مفكراً فيما يحصل به الخير الباقى، ومجاهداً لقواه الحيوانية ليكون آلفا مألوفاً مسارعاً إلى منفعة الغير ببذل ما لديه للمستحقين، ومجاهداً قواه الإبليسية أكبر المجاهدة، حتى يتطهر من دنس الكبرياء، ونجاسات العلو بالباطل، وقاذورات العناد وأوساخ الجدل وقبيح التفرقة، ورذائل

الظهور وخبائث الرياسة، وظلمات الشكوك والريب وضلالات عداوة الإخوان، والسعى فى مضرتهم، قال رسول الله ﷺ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُم إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُم مِنِّى مَجَالِسَاً يَوْمَ القيامة؟ قالوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قال: أَحَاسِنكُم أَخْلَاقاً، المُوطئُونَ أَكنَافاً، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَبْغَضِكُم إِلَيَّ وَأَبْعَدكُم مِنى مَجَالِسَاً يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قالوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قال: الثرْثَارُونَ المُتَفَيْهِقُونَ الذِينَ لاَ يَأْلَفُونَ وَلَا يُؤْلَفُونَ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَر مِن ذَلِكُم؟ قالوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قال: مَن ضَرَبَ عَبْدَه وَمَنَعَ رِفْدَه وَأَكَلَ وَحْدَهُ) الحديث.

وقال ﷺ: (المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)، ودلائل الحب الأخلاق، فمن أحب الله تخلق بأخلاقه، ومن أحب حقيقة من الحقائق تخلق بأخلاقها، وشر الأخلاق هى الأخلاق الإبليسية من الكبر وحب الرياسة والحسد وإيثار النفس على الغير والاستئثار بالنافع لضرر الخلق، ومن تخلق بخلق من الأخلاق الإبليسية وأمر بمجاهدة نفسه فغضب، فليس من فقراء آل العزائم وإن منح أعلى الأحوال، فإنه لا يلبث إلا ويرتد عن الحق، أعاذنى الله وإخوانى من التشبه بإبليس.

فقراء آل العزائم

هم أشبه الناس بالسلف الصالح، وأساس أخلاقهم قوله ﷺ: (المسلمون متكافِئُونَ يسعى بذمتهم أَدْناهم على أَعلاهم وهم يَدٌ على من سواهم).

فمن رأى نفسه أوْلى من أخيه بفضيلة أو بمنحة أو بخصوصية وجب عليه التوبة، وسد منفذ الغرور والاعتذار لإخوانه قولاً وعملاً، بأن يرى نفسه أنه ليس أهلاً لمكانته، فينزل إلى خدمة الزاوية، أو يترك التكلم عليهم والتقدم، والقيام بما خصص له من افتتاح الذكر أو المذاكرة أو المبايعة، حتى يقيمه إخوانه برضاء منهم وصفاء.

والسالك فى طريق آل العزائم، إذا بلغه شر عن أخيه زجر المُبلغ، وبين له أن هذا من عمل الشيطان المفرق، لأن أخى ليس معصوماً ولم أصحبه على أنه مَلَك أو نبى وإنى أعتقد أنه خير منى.

قال رسول ﷺ: (دعونى أخرج لأصحابى سليم الصدر)، ومعنى ذلك لا تبلغونى عن أصحابى شراً، وقال ﷺ: (المجالس بالأمانات)، والسالك إذا سمع شراً فى الغائب اجتهد فى محو الجفا وتجديد الصفا بين الإخوان، وفى الحكمة: من نقل لك نقل عنك. وما أوقع فى المكروه إلا من نقل.

والسالكون فى طريق آل العزائم كلهم أطباء رحماء، يعالجون الأمراض الأخلاقية بالحكمة والموعظة الحسنة، فمن نفر أخاً من أخ فليس من طريقنا، والأخ النافر من أخيه مريض، لأن السكر فى فم المريض مر والمر حلو، فكذلك الأخ النافر يكون خير الإخوان أمامه شرهم، وشرهم ممن ينقلون له خيرهم، والسالك مفارق للفطر المهملة، والعوائد المهلكة والأخلاق القاطعة.

والسالك فى طريق آل العزائم بين حضور مع الله بالمراقبة، أو تحصيل علم ممن أعلم منه، أو عمل صالح يتقرب به إلى الله تعالى، أو عمل لتحصيل قُوته الضرورى، وقوت من أوجب الله عليهم نفقته أو راحة لنفسه من أكل أو شرب أو نوم، وكل عمل غير هذه الأعمال فهو وبال على السالك.

والسالك فى طريق آل العزائم، يحب الله ورسوله، ويحب من أحبهم الله، ومن أحبوا الله ورسوله، ويكره أعداء الله تعالى ورسوله ﷺ ومن والاهم وسارع فيهم، ويمقت أهل المعاصى، ويجتهد فى رجوعهم إلى الحق بالتى هى أحسن، قال رسول الله ﷺ: (ثَلاَثٌ مَن كُنَّ فِيه وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَن يكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأن يحب المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ، وَأَن يكْرَهَ أَن يعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَن يُقْذَفَ فِي النَّارِ).

والسالكون فى طريق آل العزائم تحابوا فى الله، وتزاوروا فى الله، وتجالسوا فى الله، وتباذلوا فى الله، وهم المبشرون بقوله ﷺ: (المُتَحَابُّونَ فِي اللهِ، إلى أن قال: عَلَى مَنَابِرٍ مِن نُّورٍ قُدَّامَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ يَغْبِطُهُمُ المَلاَئِكَةُ وَالأنبياءُ لقُرْبِهِم مِنَ اللهِ تَعَالَى).

والسالكون فى طريق آل العزائم هم المعنيون بقوله ﷺ مخبراً عن الأمة: (أَوَّلُهَا خَيْرٌ

وآخِرُهَا خَيْرٌ وبينهما كَدَرٌ) وهم الذين اشتاق إليهم رسول الله ﷺ فى حديث الموطأ فى قوله: (وَاشَوْقَاهُ إلى إِخْوَانى الَّذِينَ لَمَّا يَأتُوا بَعْدُ).

وهذه المقامات العلية يجب أن تعطى لمن أحيا الله بهم مناهج السلف الصالح، من التابعين، وجدد بهم أخلاق الصديقين، وأقام بهم حجج الله، وبين بهم ما اختلف فيه الناس من الحق.

والسالكون فى طريق آل العزائم هم أنجم الهدى المحافظون على سُنة رسول الله، الممنوحون محبة الله، المجملون بأحوال الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم أولياء الله الذين تولاهم الله فى هذا الزمان، فألهمهم الحكمة وفصل الخطاب، وأقامهم أبدالاً للصديقين من أحبابه.

آل العزائم وما أدراك ما آل العزائم

أضرب لك مثلاً لهم

قيل إنه كان حكيم فى الزمان الماضى، أطلعه الله على خواص الأشياء جميعها، فركب دواء من عقاقير كثيرة يشفى به كل الأمراض، وجعل له الحكيم مقداراً مخصوصاً وزماناً منصوصاً، ونشره بين الناس رحمة بهم ورأفة عليهم لأن الحكيم رؤوف رحيم، وحافظ أصحابه على وصاياه فانتفع العالم أجمع بهذا الدواء، وشفاهم الله تعالى من كل الأمراض، وحافظ أصحاب أصحابه على وصايا الحكيم وتقديره، ثم خلف من بعدهم خلف، فتحت عليهم أبواب الدنيا فتنافسوها كما تنافسها من قبلهم، فأطاعوا الشح واتبعوا الهوى، وأعجب كل واحد منهم برأيه، فزادوا على تركيب الحكيم الأول أجزاء أخرى بتأويلهم، فتجددت الأمراض حتى تناسوا الدواء الذى ركبه الحكيم الأول، فتفرقوا واشتغل كل فريق بالآخر، فمكنوا أعداء الحكيم وخصماء دوائه منهم بسوء عملهم، حتى ظن أهل الجهالة بالدواء سوءاً.

ولكن الله سبحانه الذى علم الحكيم الأول صُنْع الدواء، ألهم عبداً من عبيده المخلصين

له أسرار هذا الدواء، ومقاديره التى تستعمل، فقام فأعاده إلى أصله وجرده مما زاده عليه الجاهلون، فظهر نوره وعم الآفاق، وعاد كما بدأه الحكيم الأول. والحكيم الأول هو رسول الله ﷺ، وأصحابه وأصحاب أصحابه من بعده صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، كما قال ﷺ: (خَيْرُ القُرُونِ قَرْنِى ثُمَّ الذين يَلُونَهُم).

وقد قدر الله تعالى أن يحفظ دينه ويقيم فى كل قرن من يجدد للمسلمين أمر دينهم، ونحن الآن فى أشد الحاجة إلى أن يمنح الله المسلمين من يجدد لهم أمر دينهم ويعيد لهم صحتهم الروحانية.

قال رضي الله عنه:

أَهْلُ العَزَائِمِ جُمِّلُوا بِالحَالِ ... كَشْفٌ وَعِرْفَانٌ وَخَيْرُ وِصَالِ
أَرْوَاحُهُم سَبَحَتْ بِمَلَكُوتِ السَّمَا ... وَهَيَاكِلُ الأَبْدَالِ فِى الأَعْمَالِ
أَهْلُ العَزَائِمِ شَوقُهُمْ لِوَلِيِّهِم ... خُصُّوا بِنَيْل الحُبِّ وَالإِقْبَالِ
فِى اللَيْلِ أَمْلَاكٌ حَنِينٌ مُحْرِقٌ ... وَنَهَارُهُمْ فِى خَشْيَةِ المُتَعَالِى
أَهْلُ العَزَائِمِ جُمِّلُوا بِصِفَاتِ مَنْ ... أَحْيَا الوُجُودَ بِنُورِهِ المُتَلَالِى
أَهْلُ العَزَائِمِ أَنْجُمٌ قَدْ أَشْرَقَتْ ... لِلاقْتِدَا بِالحَالِ وَالأَقْوَالِ
أَهْلُ العَزَائِمِ هُمْ شُمُوسٌ نُورُهَا ... فِى عَالَمِ المَلَكُوتِ سِرٌّ عَالِى
أَهْلُ العَزَائِمِ لِلْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ ... هُمْ صُورَةُ الأَنْوَارِ وَالإِجْلَالِ
فِى الجَمْعِ أَمْلَاكٌ يَلُوحُ ضِيَاؤُهم ... فِى الفَرْقِ وُراثٌ عَنِ الأَبْدَالِ
كَمْ جَاهِلٍ مَلأَ الوُجُودَ بِعِلْمِهِ ... كَمْ مُبْعَدٍ أَدْنُوهُ بِالأَحْوَالِ
أَهْلُ العَزَائِم سَادَةٌ وَأَئِمَّةٌ ... لَاحَ الضِّيَا مِنْهُمْ لِكُلِّ مُوَالِ
كَمْ نَاطِقٍ مِنْهُمْ بَغَامِضِ حِكْمَةٍ ... شَرِبَ الطَّهُورَ مِنَ الوَلِىِّ الوَالِى

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه:

أَهْلُ العَـزَائِمِ مِنْ ﴿أَلَسْتُ﴾ هُمْ هُيَـام
وَالمُصْطفَى الهَادِى البَشيرُ لَهُمْ إِمَـام

أَحْـــوَالُهُمْ نَبَــوِيَّــــةٌ وَصِفَـــاتُهُم
مِنْ مُحْكَمِ القُرْآنِ قَدْ شَرِبُوا المُدَام

هُــمْ أَنـجُــمٌ فِى أُفْـق طَـهَ أَشْرَقَـــتْ
وَاللهُ مَقْـصِـدهُمْ إِذَا سَـمِعُـوا الـسَّلَام

أَهْلُ العَــزَائِمِ شَــاهَــدُوا مَحْبُــوبَهُمْ
مِنْ قَبْلِ كُـن يَعْلُـوهُمُــوا هَـذَا الغَـرَام

لَمْ تَـــشْغَلَــن صَغِـيرَهُـمْ جَـنَّـــاتُهُ
وَالمَقْــصِـــدُ الــرَّبُّ العَلِىُّ وَلَا كَلَام

أَهْلُ العَـــزَائِمِ صُـــورَةٌ رُوحِيَّـــةٌ
قَـدْ فَـارَقُـوا الجَنَّـاتِ بَلْ أَعْلَى مَقَـام

أَهْلُ العَـــزَائِمِ نَفْخَـــةٌ مِنْ رُوحِهِ
بـدء الـرِّجَـالِ حَبِيبهُمْ وَهُـوَ الخِتَـام

أَهْلُ العَــزَائِمِ شُغْلُهُمْ بِحَبِيـبِهِم
صَحَّ اجتبـاؤُهُم فَخُصُّـوا بِـالـسَّلَام

صُــوَرُ الحَبِيـبِ مُحَمَّــدٍ مُـثُلٌ لَـهُ
وَهُمُ المَـرَائـي لِلنَّبِـىِّ بِـالاحْـتِرَام

أَهْلُ العَــزَائِمِ أَنجُمٌ تُبْـدِى الـضِّيَـا
لِلسَّـالِكِينَ بِنُـورِهم يُمْحَـى الـظَّلَام

خُـصُّـــوا بِحِكْـمَـــةِ رَبِّهِـمْ وَبِحُـبِّهِ
وَبِحِفْـظِهِمْ لِنَبِيِّهِمْ بَلَغُـوا المَـرَام

أَهْلُ العَـــزَائِمِ فِى المَعِيَّـــةِ جُمِّلُـوا
بِـالفَضْلِ والـرِضْوَانِ فِى طُـولِ الـدَوام

❊ ❊ ❊

الباب الثالث

السُنة والإجماع والرأى وأسهم الإسلام

السُنة

هى قول رسول الله ﷺ وعمله وتقريره فكل أعمال الصحابة وأقوالهم التى سمعها منهم ورآها أو بلغته عنهم ولم ينكر عليها، فهى تقريره وهى سُنته ﷺ. وقد أكرمنا الله تعالى وحفظ لنا أعماله وأقواله، وأحواله وشمائله، وسيره وسيرته ﷺ فى جميع الشئون، بل وحفظ لنا ما رآه وسمعه أو بلغه عن أصحابه ﷺ ولم ينكر عليه، وحفظ كل ذلك فى مسانيد ومجاميع صحاح، قام بتدوينها أمناء الله وحملة شريعته ورواها الخلف عن السلف، حتى وصلت إلينا مضبوطة مبينة، بياناً يدركه الغبى والذكى، جزى الله الأئمة الثقات عنا خير الجزاء، فلم يبق من عذر لتارك التعليم، قال الله تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ الزمر ٩.

وليس العالم من حصل من العلم كمقادير الجبال، إنما العالم من عمل بعلمه، ولو تعلم مسألة واحدة. وإن العلم يُحَصلُ للعمل به، لا للرفعة والعلو فى الأرض بغير الحق، أو للمماراة والجدل، أو للتوسط إلى الأمراء والملوك، ومن حصل العلم ليجعله وسيلة لغرض الفانى، سجل على نفسه الشقاء فى الدنيا والآخرة، وشر الناس عليم اللسان جهول القلب الذى يطلب الدنيا بعمل الآخرة، كالعباد الجهلاء الذين يتجملون للعامة بكثرة العبادة ليفسدوا عليهم عقائدهم، وليسلبوا منهم أموالهم.

والعلم الحقيقى هو العلم بالله، وبأيام الله، وعلم المسلم بنفسه، وعلم ما يجب عليه فى الوقت عمله، وعلم حكمة ما يعمل من أحكام الله، حتى لا يُضَيع الوقت فى تحصيل ما لا يجب عليه فى الوقت.

فالسُنة فى اللغة الطريق، وفى الشرع ما ورد عن رسول الله ﷺ غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير، فكل أقواله وأعماله ﷺ سُنة، وكل أقوال الصحابة وأعمالهم التى حَصَلَتْ بين يديه أو سمع بها وسكت فلم ينه عنها فهى سُنة.

الإجماع

اتفاق أهل الحل والعقد من الموثوق بهم من هذه الأمة على أمر من الأمور الشرعية أو العقلية أو العادية.

الرأى

هو استفراغ الوسع فى علم الحادثة حتى يطمئن القلب للحكم عليها.

أسهم الإسلام

أسهم الإسلام ثمانية، قال ﷺ: (لا نبى بعدى ولا أمة بعدكم فاعبدوا الله ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وحجوا بيت ربكم وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم).

فأسهم الإسلام ثمانية:

١ الشهادتين. ٢ الصلاة. ٣ الصيام. ٤ الزكاة. ٥ الحج.

٦ العمرة. ٧ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. ٨ الجهاد.

وقد وفيت الكلام عليها فى كتاب " أصول الوصول" وكتاب "معارج المقربين" وفى كتاب " الإسلام دين الله" .

❊ ❊ ❊

حكمة أركان الإسلام

حكمة وسائل الصلاة

إنما أوجبت الشريعة طهارة الجسم والثوب والمكان قبل الدخول فى الصلاة، ليشعر القلب بأنه يتأهل للدخول فى حضرة الله تعالى، ليقوم له سبحانه بما فرضه عليه من العمل شكراً على ما لا يحصى من النعم، والقلب محل نظر الرب سبحانه فيجدد طهارته، وتجديده من شوائب الشرك الظاهر والخفى والظلم والحسد والطمع والحرص، والعلل والأغراض التى تجعل القلب بعيداً عن الله تعالى، محروماً من فضل المواجهة، ولا يكون ذلك إلا بالتوبة الخالصة قبل الدخول فى الصلاة، قال ﷺ: (المُصلى يناجى ربه).

حكمة طهارة الجوارح

وكما أنه يطهر جوارحه بالماء، فإنه يراعى أن الجوارح ليست منجسة نجاسة حسية، فيتذكر نجاسات تلك الجوارح العملية، فيغسل العضو بالماء، ويغسله بالتوبة والأوبة، والخوف من الله تعالى والحياء منه سبحانه، لأنه استعمل نعمة الله فيما يغضبه وهى الجوارح، وفى تلك الرعاية يعتقد عجزه عن حفظ جوارحه من المعصية، ويتناول طهور " لا حول ولا قوة إلا بالله " ، ويشكر الله الذى وفقه للطهور أو للغسل وجعله طهارة لقلبه وقالبه.

معنى طهارة الثوب

أما طهارة الثوب فإنها بالماء وبغيره، وقد بين الفقهاء طهارته بالماء. أما طهارته بغير الماء بأن يكون لبسه لغير رياء أو كبر وخيلاء وعلو فى الأرض بغير الحق، وبأن يكون تحصل عليه من وجهة شرعية تبيح له استعماله، وبأَن يكون أدى حق شكر الله عليه فرحاً بفضل الله وبرحمته ونعماه، وأن يكون من نوع مباح، غير متجاوز الكعبين ولا الكوعين، وبعد وفاء الأجير أجرته، هذه هى طهارة الثوب يكون المصلى برعايتها صلى صلاة تنهاه عن الفحشاء والمنكر.

طهارة المكان

طهارة المكان بالماء بُينَت فى كتب الفقه، وله طهارة أخرى، فالمكان إما أن يكون مسجداً عاماً، وطهارته أن يؤسس على التقوى ولم يؤسس ضرراً ولا تفريقاً بين المسلمين، ولا إرصاداً لمن يحارب الله ورسوله، ولا فخراً ورياء.

فإن كان غير مسجد فمن طهارته أن يكون غير مغصوب، ولا مرهون فى يد الراهن ينتفع به، فإن ذلك ربا وهى نجاسة فى المكان، ومن طهارته التى يراعيها أهل المراقبة أن لا يكون مزخرفاً زخرفة تشغل النظر والقلب، ويجعل الإنسان فخوراً.

فإن الصلاة مقام العبودية الخالصة، ولا تكمل إلا بالذل والانكسار والخضوع والخشوع، ومن ذلك الإشارة إلى خطاب الله تعالى كليمه، بعد بُعده عن أهله وماله، فإن الوادى قُدس، وتجلى ربنا سبحانه لموسى وخاطبه بعد فراغ قلبه من الشغل بغيره سبحانه، من مال وولد وأهل، ولأهل الإشارة فى هذا المقام شهود وحكم لا تفى بها العبارة، قال ﷺ: (الطهور نصف الإيمان).

حكمة دخول الوقت

معلوم أن الإنسان فى الليل فقد الحس والحركة بالنوم فصار كالميت، فإذا أعاد الله عليه الحس والحركة عند طلوع الفجر الصادق، استقبل تلك النعم العظمى فرحاً بفضل الله عليه، وبرحمته به فسارع إلى شكره، فكان وقت الصبح شكراً لله على الحياة الجديدة، وافتتاحاً لليوم الجديد بعمل صالح يحبه الله تعالى، وحضوراً مع الله تعالى بالدخول فى الصلاة ليقف بين يديه سبحانه مرتلاً كلامه، متملقاً بين يديه بالذل الواجب على العبد لسيده الكبير المتعال، آنساً بشهود جماله العلى وعظمته وكبريائه وفضله وإحسانه، مبتهجاً بما تفضل به الله عليه من توفيقه إياه، وهدايته له، وإقامته عاملاً لمولاه، متشبها بصفوته وخيرة من والاه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ العنكبوت ٤٥، ولذكر الله العبد فى الصلاة أكبر من الصلاة، أو لذكر العبد ربه فى الصلاة حضوراً وشهوداً أكبر من الصلاة عملاً وقولاً فى الصلاة.

حكمة تخصيص أوقات الصلاة

١ **تخصيص وقت الفجر**: خصصت الشريعة المطهرة صلاة الصبح فى طلوع الفجر الصادق، الذى تجتمع فيه ظلمة الليل وشعاع النهار، ليشهد المصلى تغير الآيات فى نفسه، فيعلم من عجائب القدرة وغرائب الحكمة ما يقوى به إيمانه، ويتحقق أنه فى اختلاف الليل والنهار حِكَم بها صلاح العالم، ظهرت بها رحمة أرحم الراحمين بخلقه، فإذا صلى مشاهداً، وجلس يذكر الله حاضراً توالت سواطع الأنوار، حتى ينشق الأفق عن كوكب الشمس المشرقة بنورها، وحرارتها وجمالها، فيشهد فيها من الخواص والتأثيرات التى أودعها الله فى هذا الكوكب، لتكون آية كبرى دالة على كمال القدرة، ووسعة الرحمة، فيفوز المصلى بمشاهد تتجدد له فى كل صباح، تجعله ذاكراً لا ينسى ومطيعاً لا يعصى وشاكراً لا يكفر وموحداً لا يجحد.

٢ **صلاة الظهر**: ثم يخرج المسلم من طاعة إلى طاعة لأنه خرج من صلاة إلى سعى للعمل الذى يحصل به قوته، تلبية لقوله تعالى: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾ الملك ١٥، فإذا انتصف النهار وزالت الشمس، تحقق أن الشمس مقهورة مسخرة، وعلم ما أنعم الله به عليه بسببها، وشهد من عميم فضل الله وعظيم نعمه عليه، فسارع لشكره بصلاة الظهر، مفكراً فى هذا الكوكب العظيم، كيف تحول وتغير وأقبل وأدبر، ويراه يسبح فى الأفق غير معتمد على عمد، ولا مرتكز على جامد، فيصلى الظهر مفرداً ربه بالعبادة دون غيره، ناظراً إلى ما أحاط به أنه مخلوق مقهور مسخر له بفضل الله.

٣ **صلاة العصر**: فإذا صار ظل كل شئ مثله أو أكثر، تحقق زوال الدنيا وفناءها، وتذكر الآخرة وأهوالها، وأدرك من النعم المتوالية له أن الذى وهبها يجب له الشكر والثناء، لأن الكفور بالنعمة يؤاخذ بأليم العذاب، فيسارع لصلاة العصر ذاكراً لربه بعد الغفلة بالعمل للدنيا، فيحضر معه سبحانه بعد الحجاب بالأمل.

ولأهل الشهود مواجهات خاصة بهم فى تلك الأوقات علية عن الإشارة، ومن تناول طهور قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ البقرة ٢٨٢، فاز بالحسنى.

والمؤمن إما أن يجلس لذكر الله حتى تغرب الشمس، أو يسارع إلى خير يعمله من بر أو صلة أو إصلاح أو وفاء بعهد أو مواساة، أو عمل ينفعه الله به وينفع به غيره كتجارة أو صناعة أو زراعة.

٤ **صلاة المغرب**: فإذا غربت الشمس أشرقت عليه أنوار الآيات، فأيقن أن البقاء لله وحده، وفهم حكمة اختلاف الليل والنهار، وأن الليل نعمة عظمى للأبدان والجوارح، فيسارع إلى شكر الله بصلاة المغرب مفتتحاً الليل بعمل صالح فرضه عليه ربه.

٥ **صلاة العشاء**: ويجلس بذكر الله سبحانه وتعالى مشاهداً سرعة تغيير الآيات، وينتقل من شفق أبيض إلى شفق أحمر إلى فحمة الليل، وقلبه ينقلب فى تلك المشاهد، فيسارع بعد مغيب الشفق إلى صلاة العشاء، مشاهداً أنوار قدرة الله التى أبدعت تلك الكائنات، وحكمته التى نوعت تلك الآيات.

طلب العلم النافع واجب على المسلم

ولأهل الصفا مشاهد قدسية، تلوح بها أنوار الأسماء العلية، لا تبينها العبارة، ولا تومئ إليها الإشارة، قال سبحانه: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يوسف ٧٦، والعابد يجهل حكمة العبادات لجهله بنفسه وبربه، وإنما للمصلى من صلاته ما عقل منها، وليس العلم بالصلاة محصوراً فى شروطها وفرائضها وسننها، فإن ذلك يكفى فيه تقليد العامل العالم عند عمله لأن المصلى يناجى ربه وكيف يناجى العبد من لم يعرف؟ فأول واجب على المسلم طلب العلم النافع.

❊ ❊ ❊

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

وهو على ثلاث درجات:

الدرجــة الأولى

أمر بـالمعروف ونهى عـن المنكر باليـد، وهى درجة الأمراء فـإن، أهملوها عـزلتهم الحقائق وسلب منهم الملك، وفى هذه الدرجة إقامة حدود الله تعالى، وقهر المجاهرين على الحق، فإذا تعدى الناس حدود الله، وأهمل الأمراء الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باليد، انتشر الزنا والخمـر والربـا، بل وانـتشر مـا هـو أضر من ذلك وهـو القتل والـسلب والـنهب، والعقـوق والقـطعية، بل عم البلاء بما هو أكثـر من ذلك، وهو ترك الصلاة والصيام والزكاة والحج، وهو الكفر والعياذ بالله.

ومتى حدثت تلك الأحـداث سلط الله أعداءه على من أهملوا حـدوده فسلبوا منهم الملك والإمـارة والعزة وسلطان الإدارة، حفظنـا الله تعالى من نتائج إهمال الأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر.

الدرجــة الثانية

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باللسان وهو واجب العلماء، فإن أهمل العلماء ما وجب عليهم سلبت مـنهم الخشية والمراقبة، فصاروا شراً على المـسلمين من الشياطين لأنهم يكونون أعـواناً للظَّلَمَة وأنصـاراً للمتسلطين بالبـاطل، وهى صفـات الشيـاطين لأن الشـياطين علماء يعملـون بغير مـا علمـوا، قال الله تعـالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾ الأنعام ١١٢، ومن ادعـى العلم ووقف على أبـواب السلاطين والأمـراء، أو حابـاهم ووالاهم فهو لص، حفظنا الله تعالى من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يُرفع.

الدرجــة الثالثة

من الأمر بـالمعروف والنهـى عن المنكر درجـة القلب وهى لـلعامة خـاصة، لجهلهم بـالطرق

المنتجة للرجوع إلى الحق، فربما أمروا أو نهوا باللسان فأفسدوا. قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ آل عمران ١٠٤، وهم الأمراء لتنفيذ أحكام الشرع، والعلماء لبيان سبل الله تعالى بألسنتهم، والعامة لبغض المذنبين وبغض أعمالهم والتباعد عنهم، قال ﷺ: (من لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فليس من أمة محمد ﷺ) وقال أيضاً: (لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، والناهين عن المنكر الفاعلين له).

الجهاد

الجهاد بذل ما فى الوسع لتكون كلمة الله هى العليا ويكون العمل بسُنة رسول الله، والجهاد لا يسقط أبداً حتى يكون الدين كله لله، وأكبر الجهاد جهاد النفس أولاً، وروى أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أى منزلة أفضل عند الله بعد أنبيائه وأصفيائه؟ فقال: (المجاهد فى سبيل الله بماله ونفسه).

وقد أفردت كتاباً خاصاً بالجهاد، أسأل الله تعالى أن يعين على طبعه وأن ينفع به.

خمسة يجب على المسلم معرفتها:

١ معرفة المعبود. ٢ الرضا بالموجود. ٣ إقامة الحدود.

٤ الصبر على المفقود. ٥ الوفاء بالعهود.

أصول الكفر أربعة:

١ الجهل. ٢ الحمية. ٣ الكبر . ٤ الحسد.

الباب الرابع

واجب الواجبات

التوحيد

تعريف

التوحيد هو الشراب الطهور الذى سقاه الله بيد عنايته من سلسبيل محبته إحساناً منه سبحانه بسابقة الحسنى أزلاً.

التوحيد ومآخذه

هذا العلم يتلقى من القرآن والسُنة، ومن أفواه أهل الخشية من الله، الذين واجههم بجماله العلى مواجهة منحتهم اليقين الحق فرأوا ملكوت السماوات والأرض، وليس للعقول وإن كملت قوة تستبين بها حقيقة هذا العلم، لأن المطلوب على عظيم، غيب عن الأرواح والدليل عليه خفى، وإنما هو الحس يحكم على الأجسام والأعراض، وفى هذا العلم لا يقاس الغائب بالحاضر، لأنه منزه عن النظير والشبيه، ومن طلب هذا العلم بالبحث والنظر ارتد خاسئاً وحسيراً، ولكن لابد من رياضة النفس بالنظر إلى الكائنات لتنبلج الآيات، وإذا ظهرت الآيات انشرح الصدر واطمأن القلب، فأقبل العبد سميعاً مطمئناً، مؤمناً بما يتلى عليه من آيات التوحيد فى القرآن والسُنة، وعبارات وإشارات السلف الصالح، والعقل مقهور مخلوق منحه الله القوة التى يدرك بها المصالح، وليس له أن يحكم على القهار القوى، ولا أن يحوم حوالى سواطع أنوار العزة والعظمة والكبرياء، قال تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ الأنعام ١٠٣.

والذى دعا علماء الخلف إلى هذه الحرب الطاحنة بينهم، إثباتاً وسلباً وتشبيهاً وتعطيلاً أمران عظيمان:

الأمر الأول

إقامة الحجة على أعداء الإسلام من المجسمين كالنصارى واليهود والمجوس والصابئة،

والمشبهين كالغلاة من الزنادقة والفلاسفة، والشاطحين من المرورين الذين ارتاضوا على أيدى الجهلاء، وتركوا مجالسة أهل العلم بالله تعالى والعارفين، واعتزلوا الناس اشتغالاً بالذكر والخلوة قبل أن يتعلموا العلم النافع، فمثلوا الحق بأوهامهم وشبهوه بخيالاتهم، ومن دخل الخلوة للرياضة قبل أن يتلقى العلم النافع والفرق بين التشبيه والتنزيه، هلك بوهمه وخياله.

وكان السلف الصالح لا يُدْخِلون السالك الخلوة وله وهم أو خيال فى هذا الجانب.

الأمر الثانى

أنهم وقفوا عند عقولهم، فخافوا من الله تعالى فنزهوه سبحانه تنزيهاً اقتضى التعطيل، فوقعوا فيما وقع فيها المشبهون، حفظنا الله وإخواننا المؤمنين من الخلط فى هذا المقام، ومنحنا التسليم لله ولرسول الله ﷺ والاقتداء بسلفنا الصالح.

وقد بينت العقيدة فى كثير من الكتب السابقة بياناً مرتباً ترتيباً على قدر قوة السالك، فوضعت فى كل كتاب عقيدة بحسب المقامات التى هى الإسلام والإيمان والإحسان والإيقان. فإن لكل مقام علماً لابد منه وعملاً خاصاً به، كتربية الطفل يفتتح قوته باللبن حتى يقوى على غيره، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ الصافات ١٦٤.

ولما كانت عبارات السلف الصالح فى هذا العلم يقوى بها يقين المؤمن، أحببت أن أورد فى هذا المختصر بياناتهم فى التوحيد، ليعلم السالك أن ما يتلقاه من علم التوحيد ليس هو العلم الذى به النجاة، وإنما هو دروس لرياضة النفس، بها تقوى على دفع شُبه الفِرق الضالة، وهذا العلم إنما يتلقى من الكتاب والسُنة، والعلماء أهل الخشية من الله تعالى.

كيف نتلقى التوحيد

أول درس من دروس التوحيد

أول درس من دروس التوحيد تلقته الأرواح من ربها عياناً وسماعاً منه سبحانه فى يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الأعراف ١٧٢، وهذا أول خمر أديرت على الأرواح فأسكرتها. عاهد الله الأرواح ألا تغفل ولا تنسى، ولكن الأشباح حجبت الأرواح فنسيت.

الدرس الثانى

يتلقاه المسلم من والديه بالتقليد والتسليم وبهما يسعد إن كانا مؤمنين، أو يشقى إن كانا كافرين، قال ﷺ فى الحديث الطويل: (وأبواه يهودانه أو ينصرانه).

الدرس الثالث

يتلقاه المسلم بعد البلوغ من العلماء الربانيين والأمناء العارفين الذين حصلوا هذا العلم من كتاب الله وسُنة نبيه ﷺ، ومن صحبة صفوة الله من خلقه وخيرته من عباده، وهم أهل التمكين وحق اليقين بعد عين اليقين.

ومن تلقى هذا العلم من علماء الكلام، أو من الفرق المتفرقة أهل الرأى والجدل والبحث والدلائل العقلية، لم يفز بالتوحيد بل ارتد بالشكوك فى لبس من خلق جديد، أعاذنى الله وإخوانى من أن نتلقى هذا العلم بموازين أهل الكفر بالله من اليونان والرومان والفرس، ونترك ما جاءنا به رسول الله ﷺ من عند الله.

الدرس الرابع

يتلقاه المسلم من القرآن والسُنة ذوقاً وإلهاماً، حتى يبلغ درجة يقرأ القرآن فيسمعه من رسول الله ﷺ، ويرقى إلى مقام يسمع فيه من رسول الله ﷺ فى حالة استحضار، ولديها يتفضل الله تعالى عليه فيقربه قرباً ينال به حالة روحانية يستظهر منها القرآن من الله تعالى.

وهنا ينطوى بساط دروس التوحيد فى مقامات التمكين، غيرة للأسرار العلية ورحمة بالعقول الإنسانية، ومن طلب المزيد لزم أعتاب المرشد الكامل.

أنواع التوحيد

أنواع التوحيد خمسة وهى توحيد الإقرار فتوحيد العلم فتوحيد الشهود فتوحيد وجود التوحيد فمحو التوحيد بالتفريد.

تفصيل أنواع التوحيد

توحيد الإقرار

ومأخذه قوله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) وهذا الإيمان يحفظ الله به العبد من ذل الكفر، ويحفظ الله به ماله ودمه ولو لم يكن معتقداً، ومن أقر دخل الجنة مهما كانت ذنوبه، فالإقرار بالتوحيد نجاة فى الدنيا من كل شدة، وفوز بالجنة يوم القيامة إن غفر الله له ذنوبه، أو رجوعه إلى الجنة إن حاسبه الله عليها.

وقد ورد فى الأثر أن رجلاً أقر بالتوحيد ولم يعمل خيراً، فلما مات أمر أن يحرق وينشر فى الهواء والبحار، فأمر الله تعالى الهواء أن يحفظ رماده حتى تقوم الساعة، فسأله الله يوم القيامة لم أحرقت نفسك؟ فقال: خجلاً منك يا ربى لعظيم ذنوبى. فعفا عنه وغفر له، ومن أقر بالتوحيد معتقداً وعمل بشرائع الإسلام مخلصاً دخل الجنة مع الذين يقولون: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ الحاقة ١٩.

توحيد العلم

ومأخذه قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ هود ١٤، وهذا التوحيد ينتج الإيمان بعد وضوح الدلائل المشرقة فى الكائنات وشهود الآيات البينات، وصاحب هذا التوحيد مؤهل للفقه فى الدين، وذوق أسرار القرآن المجيد وصحبة أبدال رسل الله، بل وصحبة الوارث الفرد الجامع، وإذا عمل هذا الموحد العالم بعلمه، ذاق حلاوة الوحدة فى الكثرة.

توحيد الشهود

مأخذه قوله سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ آل عمران ١٨، وهذا التوحيد الشهودى ثمرته الاستقامة وصاحبه يتمكن فى مقام الإحسان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فصلت ٣٠، وهو الواصل المتصل، بل هو نجم لآله وخِلانه يسقى الماء واللبن ويمنح الفضل والمنن.

توحيد وجود التوحيد

مأخذه من قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ الأنعام ٩١، ووجود التوحيد يدار فيه خمرة المحبة بالعناية، وتمنح فيه حلل الولاية، وصاحبه جُذب جذبة الخلة، طمست بقية آثار بشريته الباطلة، فإذا حفظ السر وقهر الحال اتحد بالمتعال، لأنه رام فهام وكان فبان، غار الحق عليه فأمسكه لديه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ الأعراف ٢٠٦، وقال سبحانه: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ﴾ الشورى ٢٢، وهم القائمون لله بالحجة الموضحون للمحجة، تجاوزوا الرسوم والجسوم والعلم والعرفان إلى مقام قاب قوسين، اتباعاً للحبيب الأكبر ﷺ، وفى الأثر: (أوليائى تحت قبائى لا يعرفهم غيرى) إن صالت عليه صولة الاتحاد، أو غمرته أنوار القدر، غشيته العزة بصفة البشر، سر قوله: (مرضت فلم تعدنى، وجعت فلم تطعمنى، وعريت فلم تكسنى)، وإن فاجأه متكبر بحرب، أسرع إليه الرب، معنى قوله ﷺ: فى الحديث القدسى: (من آذى لى ولياً آذنته بالحرب)، جمله بحلة الخلافة وتوَّجَهُ بتاج أبدال أكمل مرسل ﷺ، وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ الأنفال ١٧، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ الفتح ١٠، وصاحب هذا المقام عشق فاحترق، وجُذِبَ فاصطفى وصوفى، اضمحلت فى وصفه العلوم، واندثرت فى آثاره الرسوم.

❊ ❊ ❊

محو التفريد بالتوحيد

لا يسطر على صفحات الأوراق، ولا يباح للعقول والأفهام، لأنه محو التفريد بالتوحيد، سر قوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ الزمر ٦٧، ولكنه يشم شميماً من إشارات أهل التمكين، فى حال اصطلام صولة الاصطناع وهى نتف من الإشارات لا تعقل ولا تذاق للنفوس، قال تعالى ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ العنكبوت ٤٣، ومن نظر إلى الجديد لا يذوق حلاوة التوحيد، والموحدون نظروا بعين المحبة الأزل، أنه على ما هو عليه لم يَزَلْ، ولكنهم ميزوا بين الحادث والقديم، فلم يلتبس عليهم الأمر بخلق جديد.

حقائق التوحيد

حقائق التوحيد ثلاثة:

الحقيقة الأولى: توحيد الله نفسه بنفسه

وهو التوحيد الذى لا يطيقه مخلوق مقهور وفى الأثر: (كلكم حمقى فى ذات الله)، قال الصديق الأكبر: (العجز عن الإدراك إدراك).

الحقيقة الثانية: توحيد الله الذى يتفضل الله به على من اصطفاهم من أولى العزم

توحيد الله الذى يتفضل الله به على من اصطفاهم من أولى العزم، وعلى من اجتباهم من رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، ومن اختطفتهم يد العناية من ورثة رسول الله، وأبدال الرسل عليهم الصلاة والسلام، ممن أظهر أرواحهم بدءاً على بديع جماله العلى، وذكرهم فى الكون بألسنة الرسل والورثة بما أظهرهم عليه بدءاً وأعانهم فقبلوا وأقبلوا، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ الزمر ٢٣.

الحقيقة الثالثة: توحيد الخلق ربهم بالنظر والاستدلال

ولكل حقيقة من تلك الحقائق شواهد قائمة ودلائل واضحة، وظهور يدار على أهل الصفا من الأخيار، فالتوحيد الذى وهبه الله لعباده مأخذه: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ

ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذاريات ٥٥، والتوحيد الذى يحصله الخلق، مأخذه من قوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ يونس ١٠١.

الحادث والقديم

إذا نظر القلب إلى الحادث الجديد صار محجوباً بعيداً، قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ق ١٥، وإنما الجديد ليشير للقلب إلى ما فيه من سر الحى القيوم، ونور القادر الخلاق العليم، فإذا تجرد القلب من نظره إلى الجديد، أشرقت أنوار الآيات، وصار للغيب شهيداً، وإذا تجرد من شهوده ظهرت غرائب القدرة وعجائب الحكمة، فجذبته إلى القادر الحكيم، وأظهر الجديد كله، ليعرف جل جلاله بقدرته الباهرة، ويلحظ القلب أنواره الظاهرة، فيشكره العبد ويذكره ولا يكفره، ويطيعه ويعبده ولا يجحده، ومن شغله الجديد الفانى عن القديم الباقى طال اغترابه ودام عذابه.

تعريف التوحيد

هو تميز الحادث من القديم، حتى يذوق حلاوة التوحيد، ومن حكم عليه خياله ووهمه، نظر إلى المادة وأعراضها، فنسى الله تعالى فأنساه الله نفسه، قال تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ الحشر ١٩، ومن نسى نفسه بدءاً ونهاية، تمنى يوم القيامة أن يكون تراباً.

عبارات أهل العلم بالله فى التوحيد

أوردها عليك فى هذا المختصر، لتعلم أن طريق آل العزائم عمل بما كان عليه السلف الصالح وتجديد لعلومهم وأحوالهم وأسرارهم رضى الله عنهم، قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ هود ١٢٠، ونحن نرشف من رحيق عبارات علماء السلف، ما به تطمئن قلوبنا بأنا والحمد لله اقتبسنا من المشكاة المحمدية التى اقتبسوا منها.

قال الشاشى الأندلسى أعاد الله لنا وبنا أنوار الأندلس وفى جميع الأمم الإسلامية، وأهلك الأسبان وكل الأمم الظالمة، الذين أفسدوا البلاد وأضلوا العباد بطغيانهم إنه مجيب الدعاء.

قال: إن الأولياء يتمندلون أى (يتروحون) بأسماء الله الحسنى، ما عرفه مَنْ كَيَّفَهُ، وما وحَّدَه من مثَّلَهُ، ولا عبده من شبَّهه. المشبِّه أعشى، والمعطل أعمى، والمشبِّه متلوث بفرث التجسيم، والمعطل نجس بدم الجحود، ونصيب المُحِقِّ لبنٌ خالصٌ، وهو التنزيه. انزل من علو التشبيه ولا تعلُ قلل أباطيل التعطيل، فالوادى المقدس بين الجبلين.

قال أبو المعالى رحمه الله: من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبِّه، ومن سكن إلى النفى المحْض فهو معطِّل، ومن قطع بموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد، جل رب الأعراض والأجسام عن صفات الأعراض والأجسام، جل ربى عن كل ما اكتنفته لحظات الأفكار والأوهام.

وقال الدقاق رحمه الله:المريد صاحب وَلَه، لأن المراد بلا شبه، وقيل: مثله الأعلى ليس كمثله شئ.

وقال الجنيد رحمه الله: أشرف كلمة فى التوحيد قول الصديق: الحمد لله الذى لم يجعل للخلق سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته. قال القشيرى رحمة الله عليه: يعنى أن العارف عاجز عن معرفته والمعرفة موجودة فيه.

ولغيره: ما عرف الله سوى الله (لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك).

كل ما ترتقى إليه بوهم ... من جلال وقدرة وثناء
فالذى أبدع البرية أعلى ... منه سبحان مبدع الأشياء

سأل المريسى الشافعى ﷺ عن التوحيد بحضرة الرشيد، فقال: أن لا تتوهمه ولا تتهمه، فأبهت.

وقال الشبلى رحمه الله: من توهم أنه واصل فليس له حاصل، ومن رأى أنه قريب فهو بعيد، ومن تواجد فهو فاقد، ومن أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو غافل، ومن سكت عنه فهو جاهل، ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها، إلا نادته هواتف الحقيقة: (الذى

تطلب أمامك) وما تبرجت ظواهر المكونات إلا نادتك حقائقها: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ البقرة ١٠٢.

ما ينتهى نظرى منهم إلى رتب ... فى الحسن إلا ولاحت فوقها رتب

وقال الجريرى: ليس لعلم التوحيد إلا لسان التوحيد.

وقال الحسن رحمه الله: العجز عن درك الإدراك إدراك.

تبارك الله وارت غَيْبَه حُجُبٌ ... فليس يعرف إلا الله ما الله

دعا نبى إلى الله عز وجل بحقيقة التوحيد، فلم يستجب له إلا الواحد بعد الواحد، فعجب من ذلك، فأوحى الله عز وجل إليه: (تريد أن تستجيب لك العقول؟ قال نعم، قال: احجبنى عنها، قال كيف أحجبك وأنا أدعو إليك؟ قال: تكلم فى الأسباب وفى أسباب الأسباب)، فدعا الخلق من هذا الطريق فاستجاب له الجمع الغفير.

ومن عجز عن أقرب الأشياء نسبة منه، فكيف يقدر على أبعد الأمور حقيقة عنه؟ من عرف نفسه عرف ربه.

ومنه: دع ما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره.

ولما احتضر الوليد بن أبان رحمه الله تعالى، قال لبنيه: هل تعلمون أحداً هو أعلم بالكلام منى؟ قالوا: لا، قال: فإنى أوصيكم بما عليه أهل الحديث، فإنى رأيت الحق معهم.

وعن أبى المعالى نحوه.

ومنهم من هجر أحمد المحاسبى لما صنف فى علم الكلام، فقال: إنما قصدت إلى نصر السُنة، فقال: ألست تذكر البدعة والشبهة؟ قلت: من تحقق كلام فخر الدين الرازى، وجده فى تقرير المشبه أشد منه فى الانفصال عنها، وفى هذا ما لا يخفى.

ومنه: من آمن بالنظر إلى ظاهر الثعبان، كفر بالاستماع إلى خوار العجل، ومن شاهد

مجاوزة القدرة الإلهية لمنتهى وسعة القوة البشرية، لم يكترث بوعيد الدنيا، ولم يؤثر الهوى على الهدى والتقوى.

ومنه: قال على بن الحسين عليه السلام: من عرف الله بالأخبار دون شواهد الاستبصار والاعتبار، اعتمد على ما تلحقه التهم.

ومنه: قيل لطبيب: بم عرفت ربك؟ قال: بالأهليج يجفف الحلق، ويلين البطن.

وقيل لأديب: بما عرفت ربك؟ قال: بنحلة فى أحد طرفيها عسل وفى الآخر لسع، والعسل مقلوب اللسع.

وسأل الدهرية الإمام الشافعى عن دليل الصانع، فقال: ورقة الفرصاد تأكلها دودة القز فيخرج منها الإبريسم، والنحل فيكون منها العسل، والظباء فينعقد فى نوافجها المسك، والشاة فيكون منها البعر، فآمنوا كلهم وكانوا سبعة عشر.

قيل لأعرابى: بم عرفت ربك؟ فقال: البعرة تدل على البعير، والروث يدل على الحمير، وآثار الأقدام تدل على المسير، فسماء ذات أبراج وبحار ذات أمواج، أما يدل ذلك على العليم القدير؟!

قد يستدل بظاهر عن باطن حيث الدخان يكون موقد نار

قيل لأعرابى: بما عرفت الله؟ فقال: بنقض عزائم الصدور، وسوق الاختيار إلى حبائل المقدور.

وقال الدقاق: لو كان إبليس بالحق عارفاً، ما كان لنفسه بالإضلال والإغواء واصفاً.

ومنه: التوحيد محو آثار البشرية، وتحديد صفات الألوهية، الحق واحد فى ذاته لا ينقسم، واحد فى صفاته لا يماثل، واحد فى أفعاله لا يشارك، وكان موجوداً عن عدم من كان موصوفاً بالقدم، الحياة شرط القدرة، دلت على ذلك الفطرة، لو لم يكن الصانع حياً، لاستحال أن يوجد شيئاً، لو لم يكن باقياً لكان للألوهية منافياً. لو كان البارى جسماً ما استحق الألوهية

اسماً، لو كان جوهر لكان للتحيز مفتقراً. العرض لا يبقى والقديم لا يتغير ولا ينفى. لو لم يكن بصفة القدرة موصوفاً، لكان بسمة العجز معروفاً. لو لم يكن عالماً قادراً لاستحال كونه خالقاً فاطراً. دلت الفطرة والعبرة أن الحوادث لا تحصل إلا من ذى قدرة، لو لم يكن بالإرادة قاصداً، لكان العمل بذلك شاهداً. من تنوع إيجاده، دل ذلك على أن الفعل مراده. لو لم يكن بالسمع والبصر موصوفاً، لكان لضديهما مألوفاً. لو جاز سامع لا سمع له لجاز صانع لا صنع له. لو كان سمعه بأذن لافتقرت ذاته إلى ركن. من صدرت عنه الشرائع والأحكام، كان موصوفاً بالكلام. ليس فى الصفات السبع ما لا يتعلق إلا بالحياة، ولا يؤثر إلا القدرة والإرادة، كما جاز أن يأمر بما لا يريد، جاز أن يريد ما لا يحب. لا يسأل عما يفعل، الواحد كاف ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ الزمر ٣٦، وما زاد عليه متكاف، ليس مع الله تعالى موجودات لأن الموجودات كلها كالظل من نور القدرة. له نور التبعية لا رتبة المعية.

إن من أشرك بالله جهول بالمعانى أحول العقل لهذا ظن للواحد ثانى

قال سيدنا جعفر بن محمد: لو كان على شئ لكان محمولاً، ولو فى شئ لكان محصوراً، ولو كان من شئ لكان محدثاً.

قيل لتمامة بن الأشرف رحمة الله تعالى عليه: متى كان الله؟ فقال: ومتى لم يكن؟ فقيل: لم كفر الكافر؟ فقال: الجواب عليه.

قال خادم أبى عثمان: قال لى مولاى: يا محمد لو قيل لك أين معبودك ما كنت تجيب؟ قال: أقول: بحيث لم يزل. قال فإن قيل لك: فأين كان فى الأزل؟ فقال أقول: بحيث هو الآن. فنزع قميصه وأعطانيه.

قيل لصوفى: أين هو؟ فقال محقك الله، أيطلب مع العين أين!

ومنه: سمعت شيخنا يقول: نقصنا صفة كمال له فينا، يعنى إذا وجب له كل الكمال وجب لنا كل النقص. وهذا على أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان، وفيه كلام.

ومنه: بلغ أحمد أن أبا ثور قال فى الحديث: خلق الله آدم على صورته أن الضمير لآدم، فهجره، فأتاه أبو ثور فقال أحمد: أى صورة كانت لآدم يخلقه عليها، كيف تصنع بقوله: (خلق الله آدم على صورة الرحمن)، فاعتذر إليه وتاب بين يديه.

ومنه: أتى يهودى المسجد فقال: أيكم وصى محمد ﷺ فأشاروا إلى الصديق رضي الله عنه فقال: إنى سائلك عن أشياء لا يعلمها إلا نبى أو وصى نبى قال: سَلْ، قال: فأخبرنى عما ليس لله، وعما ليس عند الله، وعما لا يعلمه الله، فقال: هذه مسائل الزنادقة وهم بقتله، فقال ابن عباس: ما أنصفتموه، إما أن تجيبوه، وإما أن تصرفوه إلى من يجيبه، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلى: (اللهم اهد قلبه وثبت لسانه)، فقال أبو بكر: قم معه إلى على، فقال له سيدنا على: أما ما لا يعلمه الله فقولكم فى عزير: إنه ابن الله والله عز وجل لا يعلم له ولداً، قال فى التنزيل: ﴿وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ يونس ١٨، وأما ما ليس عند الله فالظلم، وأما ما ليس له فالشريك. فأسلم اليهودى، فقبل أبو بكر رأس على وقال له: يا مفرج الكربات. وورد مثل هذه المسائل عن الصحابة رضى الله عنهم.

وقال العتابى لأبى قزة النصرانى عند المأمون: ما تقول فى المسيح؟ قال: من الله، قال: البعض من الكل على سبيل التجزؤ، والولد من الوالد على طريق التناسل، والخل من الخمر على وجه الاستحالة، والخلق من الخالق على جهة الصفة، فهل من معنى خامس؟ قال: لا، ولكن لو قلت بواحد منها ما كنت تقول؟ قال: البارى لا يتجزأ، ولو جاز عليه ولد لجاز له ثان وثالث وهلم جرا، ولو استحال فسد، والرابع مذهبنا وهو الحق.

ومنه: أول ما تكلم به عيسى عليه السلام فى المهد أن قال: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ مريم ٣٠، وهو حُجة على الغالين فيه، يقال لهم: إن صدق فقد كذبتم وإلا فمن عبدتم ولمن ادعيتم؟

قال القاضى بن الطيب للقسيس لما وجهه عضد الدولة إلى ملك الروم: لم اتحد اللاهوت بالناسوت؟ فقال: أراد أن ينجى الناس من الهلاك، قال: فهل درى أنه يقتل ويصلب أو لا؟ فإن لم يدر لم يجز أن يكون إلهاً ولا ابناً، وإن درى فالحكمة تمنع من التعرض لمثل ما قلتم أنه جرى.

سأل القاضى هذا البطريك عن أهله وولده، فأنكره ذلك النصارى، فقال: تبرءون. هذا مما تثبتونه لربكم؟ سوأة لهذا الرأى، فانكسروا.

قال بن العربى: سمعت الفقراء ببغداد يقولون: إن عيسى عليه السلام كان إذا خلق من الطين كهيئة الطير طار شيئاً ثم سقط ميتاً، لأنه كان يخلق ولا يرزق، ولو رزق لم يبق أحداً إلا قال هو الله، إلا من أوتى هداه.

سأل ابن شاهين الجنيد عن معنى (مع) فقال: مع الأنبياء بالنظر والكلاءة: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ طه ٤٦، ومع العامة بالعلم والإحاطة ﴿وَهُوَ مَعَهُمۡ﴾ النساء ١٠٨، فقال: مثلك يصلح دليلاً على الله.

ومنه سأل قدرى علياً رضي الله عنه عن القدرة، فأعرض عنه، فألح عليه فقال: أخلقك كيف شِئتَ أم كيف شاء؟ فأمسك، فقال: أترونه يقول: كيف شئتُ إذاً والله أقتله، فقال: كيف شاء، فقال: أيحييك كيف تشاء أو كيف يشاء؟ قال: كيف يشاء، فقال أيدخلك حيث تشاء أو حيث يشاء؟ قال: حيث يشاء، قال: اذهب فليس لك من الأمر شئ.

قال أبو سليمان: أدخلهم الجنة قبل أن يطيعوه، وأدخلهم النار قبل أن يعصوه، جل حكم الأزل أن يضاف إلى العلل، سبق قضاؤه فعله ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة ٣٠، وأوقفت مشيئة أمره ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا﴾ يونس ٩٩، قال الشاذلى: أهبط آدم إلى الأرض قبل أن يخلقه لأنه قال ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ البقرة ٣٠، ولم يقل فى السماء ولا فى الجنة.

وقال الأوزعى: قضى بما نهى، وحال دون ما أمر، وأخطر إلى ما حرم.

قال الأوزعى لغيلان: مشيئتك مع مشيئة الله عز وجل أو دونها؟ فلم يجبه، فقال هشام بن عبد الملك: فلو اختار واحدة؟ فقال: إن قال: معها، فقد زعم أنه شريك، وإن قال: وحدها، فقد تفرد بالربوبية، قال: لله درك أبا عمرو.

من بيان عظمته: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ غافر ١٥، من آثار قدرته: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الرعد ٢، توقيع أمره ﴿يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ النحل ٩٠ واقع زجره: ﴿وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِ﴾ النحل ٩٠،

تنفيذ حكمه: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ البروج ١٦، دستور ملكه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ الأنبياء ٢٣.

قال إياس بن معاوية رضي الله عنه: ما خاصمت أحداً بعقلى كله إلا القدرية، قلت لقدرى: ما الظلم فقال: أخذ ما ليس لك، قلت: فإن الله له كل شئ.

قال الواسطى: ادعى فرعون الربوبية على الكشف، وادعت المعتزلة الربوبية على الستر، تقول: ما شئتُ فعلتُ.

ومنه: من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل، إذا كان القدر حقاً فالحرص باطل، إذا كان الله عز وجل عدلاً فى قضائه فمصيبات الخلق بما كسبت أيديهم.

مَا عُذْرُ مُعْتَزِلِيٍّ مُوسرٍ مَنَعَمَتْ كَفَّاهُ مُعْتَزِلِيًّا مُعْسِراً صَفِدَا
أيَزْعُمُ القَدَرَ المَحْتُومَ ثَبَّطهُ إنْ قَالَ ذَاكَ فَقَدْ حَلَّ الَّذِى عَقَدَا

ومنه: دخل محمد بن واسع على بلال بن فروع فقال: ما تقول فى القدر؟ فقال: تفكر فى جيرانك أهل القبور فإن فيهم شُغْلاً عن القدر.

وَكُلُّ مَنْ أَغْرَقَ فِي نَعْتِهِ أَصْبَحَ مَنْسُوباً إلى ٱلْعَيِّ

المقادير تبطل التقدير وتنقض التدبير، قال مُعتزلى لسُنى: لو أراد ثبوت أحد على الكفر لم يقل: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ البقرة ٢٥٧، فقال السُنى: ولو لم يكن الإيمان من فعله لم يقل: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ البقرة ٢٥٧.

قال تغفور طاغية النصارى لأبى الحسن الشلبانى: أنت تقول أن الخير والشر من الله وذلك لأن النصارى كلهم على مذاهب القدرية فى الاستطاعة، قال: نعم، قال: كيف يعذب عليه؟ هل كان حقاً عليه أن يخلق؟ فقال: لم يضطره إلى ما خلق مضطر.

قيل: نزلت ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الشعراء ٩٩، فى القدرية لأنهم أضافوا الحول والقوة فى الشر إلى البشر فأشركوهم فى الخلق، أما ترى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ القمر

٤٧، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَـهُ بِقَدَرٍ﴾ القمر ٤٩.

كُنتُ دَهْـراً أَقُـولُ بِـالاسْتِـطَـاعَـة وَأَرَى الجَـبْرَ ضَلَّـــةً وَشَـنَـــاعَـــةً
فَفَقَـدتُّ اسْتِطَـاعَتـي فِي هَـوَى ظبْـيِ فَـسَـمْعـــاً لِمَـنْ أُحِـبَّ وَطَـــاعَـــةً

* * *

مَـــا لَا يَكُـــونُ فَلا يَكُـــونُ بِحِـيلَـــةٍ أَبَـــداً، وَمَـــا هُـــوَ كَـــائِنٌ سَيَكُـــونُ

* * *

تُـرِيـدُ النَّفْـسُ أَن تُعْطَـى مُنَـاهَـا وَيَـــأْبَـــى اللهُ إِلَّا مَـــا يَـــشَـــاءُ

* * *

شفاء الصدور فى التسليم للمقدور.

* * *

إِذَا لَمْ يَكُـنْ إِلَّا الأَسِـنَّـــةُ مَـــرْكِـبـــاً فَلَا رَأْى لِلْمُـضـطـر إِلَّا ارْتِكَـابُهَـا

* * *

أَيُّ يَـــــوْمٍ مِـــنَ المـــــوت أَفِـــــرُّ يَـــوْمَ لَا يَقْـــدِرُ أَمْ يَـــوْمَ قَـــدَر

* * *

إذا كان الداء من السماء بطل الدواء.

* * *

قالت الحائط للوتد: لم تَشُقَّنِى؟ قَالَ: سل من يدقنى.

النَّـــاسُ يلْحُـــونَ الـطَّـبـيـبِ وَإِنَّـمَا غَلَـطُ الـطبِيبِ إِصَـابَـةُ المَقْـدُورِ

قيل لحكيم: أخرج الهم من قلبك، فقال: ليس بإذنى دخل.

نَفْسِى تُنَازعُنِى فَقُلْتُ لَهَا قِرى ... مَوْتٌ يُرِيحُكِ أَوْ صُعُود المنبرِ
مَا قَدْ قَضَى سَيَكُونُ فَاصْطَبِرِى له ... وَلَكِ الأمَانُ مِنَ الَّذِى لَمْ يُقدر
وَلْتَعْلَمِى أَنَّ المُقَدَّرَ كَائِنٌ ... لَابُدَّ مِنْهُ صَبِرْتِ أَوْ لم تَصْبرى

الخاتمة

وإلى هذا نختتم بشميم من عبيره ﷺ من قصيدة له:

فَوْقَ عِلْمِ التَّوْحِيدِ عَيْنُ اليقين ... فَوْقَهَا الحَقُّ حُظْوَةُ التَّمْكِينِ
نُورُ عِلْمِ التَّوْحِيدِ يُخْفِى المَبَانِي ... حَيْرَتِي فِيهِ مَبْدَأُ التَّلْوِينِ
فِيهِ صَحَّ التَّعْبِيرُ سِرُّ بَيَانِي ... ثُمَّ عَيْنُ التَّوْحِيدِ فِي المَضْنُونِ
فَوْقَ فَحْوى إِشَارَتِي وَبَيَانِي ... فِي خَفَاءٍ من الكِتَابِ المُبِينِ
ثَمَّ حَقُّ التَّوْحِيدِ فِي غَيْبِ غَيْبٍ ... فَوْقَ إِدْرَاكِنَا بِكَنزٍ مَصُونِ
كُلُّ مَا لَاحَ فهُوَ عِلْمُ بَيَانٍ ... مِنْ إِشَارَاتِ عَالِمٍ بِالدِّينِ
ثُمَّ عَيْنُ التَّوْحِيدِ لِلرُّوحِ تُجْلَى ... فِي مَقَامِ اصْطِفَاءِ أَهْلِ اليَمِينِ
ثُمَّ حَقُّ التَّوحِيدِ غَيْبٌ خَفِيٌّ ... غَامِضٌ قَدْ يَلُوحُ فِي التَّعْيِينِ
لَمْ تَسَعْهُ الأوْرَاقُ بَلْ وَلِسَانِي ... لَمْ يَبُحْهُ مِنْ مَبْدَأ التَّكْوِينِ
فَوْقَ ذَوْقِي وَفَوْقَ حَالِي وَكَشْفِي ... وَهُوَ فَضْلٌ مِن مُنْعِمٍ وَمُعِينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

رسالة الشفاء

رسالة كتبها الإمام فى سنة ١٣٣٤ هـ لإخواننا فى الفيوم وصعيد مصر
لإعادة صحتهم الروحانية

الحمد لله الهادى من أحبه للصراط المستقيم، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، القريب ممن تقرب إليه بالسمع والطاعة لرسوله ﷺ، المجيب لمن استجاب له سبحانه بالعمل بسُنة رسول الله ﷺ، الذى قدر الذنوب وقدر التوبة، وأنزل التوابين منزلة أهل محبته، فكان تقدير الذنوب على المؤمنين الذين سبقت لهم الحسنى سبباً فى رفعة مقامهم عند الله تعالى، وعلو منزلتهم لديه سبحانه، قال جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة ٢٢٢، والتواب هو المذنب الذى رجع بالإخلاص إلى الله تعالى، والمتطهر هو المتنجس الذى تطهر من حظه وهواه ورأيه، مفرداً قصده متجرداً بحول الله وقوته مما يحجبه عن شهود جمال الله تعالى، وكفى بأهل الذنوب التائبين منها شرفاً أن الله تعالى يحبهم لأن أعلى مقامات السالكين محبة الله إياهم.

والصلاة والسلام على الحريص على العالم أجمع الرؤوف الرحيم بالمؤمنين، من هو أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم سيدنا ومولانا محمد وآله.

وبعد، فمن خديم الفقراء محمد ماضى أبى العزائم لأحبابى فى الله ورسوله، وإخوانى فى الأخذ بالعزائم بقدر الاستطاعة، وأولادى فى مجاهدة النفس وتطهيرها من نزوعها إلى البدع المضلة، وميولها إلى فطرها المهملة، أيدنى الله وإياهم بروح منه، وأمدنا بروحانية رسول الله ﷺ.

السلام على أهل الوفا والصفا، من أبنائى المخلصين فى عبادة الله، الصادقين فى معاملة الله، القائمين شهداء لله ولو على أنفسهم، أدام الله لنا الاستقامة والكرامة والعناية أنه مجيب الدعاء.

اعلموا إخوانى أيدنى الله وإياكم بروحانية رسول الله ﷺ أن السالك فى طريق الله تعالى له مائة منزلة، لكل منزلة ثلاثة مقامات، ولكل منزلة من تلك المنازل علوم وذوق وكشف وشهود، ووجود وفناء وبقاء، وقد جمعتها فى رسالة خاصة تطبع قريباً بمشيئة الله تعالى، ولما كانت تلك المنازل لا ينزلها السالك إلا بالمرشد المُعلم العالم الربانى الوارث المحمدى، الحى بالله بعد الموت بالفناء فيه سبحانه، القائم بالله لله، العمل بظاهر الشريعة وباطنها، الممثل لحضرة رسول الله ﷺ أكمل تمثيل، الممنوح روحانية رسول الله ﷺ، لأن الله جل جلاله لم يشأ أن يجعل مخلوقاً متصفاً بصفة من صفاته بذاته، بل بتعليم من غيره، ولذلك فقد جعل للملائكة معلماً وهو آدم، وجعل للرسل معلماً وهو جبريل، وجعل للسالكين معلماً بعد رسول الله ﷺ وهو المرشد الحى بالله القائم بالله لله، الدال على الله الحى القيوم جل جلاله.

ولما كانت تلك المنازل، لا يحصل فيها الأمن والهداية للسالك، إلا بعد أن يحل فى كل منزلة حتى يتمها، ولديها يكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ الأنعام ٨٢، لأنه آمن إيماناً لم يلبس إيمانه بشرك، ولأنه قبل أن يحل فى تلك المنازل يكون إيمانه ممزوجاً بشرك، وكم من ولى ورع زاهد عابد وهو مشرك، إلا أنه يخفى عليه شركه.

وإنما صحبة المرشد للتجريد من هذا الشرك الظاهر أو الخفى والأخفى، فإن فرعون قال: أنا ربكم الأعلى للمصريين. وهذا العابد الزاهد قد يرى عبادته تنفعه، أو يرى أنه فعل العبادة غير ملاحظ التوحيد الخالص من غير شوب، أو يظن أنه نفع المريدين بحاله وعلمه وكراماته، أو يعتقد أنه قام بعمل لرسول الله ولله، أو يقصد بعلمه غير وجه الله العظيم، وكل ذلك فى طريقنا من الشرك، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ يوسف ١٠٦.

ولما كانت أمراض النفوس لا تحصى ولا تحصر، كان من الواجب على السالك أن يكون كالميت بين يدى الأستاذ حتى يحيا، فإذا أُحْيِىَّ كان كالطفل فى حضانة الأستاذ حتى يشب، فإذا صار شاباً كان ولداً للأستاذ، فإذا بلغ سن الصبا كان للأستاذ خادماً أو وزيراً، حتى يبلغ أشده، فإذا بلغ أشده منح أمانته، فشكر الله تعالى على ما وهبه من النعم، وشكر

الأستاذ على ما أجراه الله له على يديه، وهذا الشكر فريضة فرضها الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ لقمان ١٤، ولزمه أن يتأدب للأستاذ، فينسب إليه تربيته وعلومه وأسراره وأحواله أدباً مع رسول الله ﷺ، ولا يدلس فإن من دلس فى طريقنا كفر.

والتدليس فى الطريق كِبْر الواصل إلى الله عن أن ينسب فضل الله الواصل إليه على يد الأستاذ الذى أجراه الله له على يديه، كما تنسب الحرارة والضوء إلى الشمس، ومن تكبَّرَ على الشمس، وأغمض عينيه، وقال: أنا أمشى من غير نور الشمس. هَوَى فى هاوية الكبر، أعوذ بالله.

لا تظن أن رجلاً صحب رجلاً، ورأى مُرشداً كاملاً دالاً على الله فتبعه قد أساء، ولكنه أحسن إلى نفسه، ولكن الإساءة أن يصحب المرشد الكامل فينزله فى أول منزلة من منازل الطريق فيذوق بها حلاوة الإقبال ولذة التوبة، وبهجة العمل الصالح، والأُنس بذكر الله، والغيرة لله بالقول والعمل والبذل لله، فيتجمل بحال التوابين ومقام المنيبين، فيغتر بما تفضل الله عليه من يد المرشد، وخصوصاً إذا أطلق الله لسانه بفضائل المرشد ومحاسنه، ومواهب الله التى تفضل بها سبحانه عليه، فيقبل الله عليه بوجوه الخلق، فيظن المسكين أنه اتصل ووصل، فيقبل على الناس ويلتفت عن المرشد، جاهلاً بطريق الله، وهى أول عقبة فى طريقنا سعد والله من اقتحمها، وأول غُل فى عنق السالك فاز والله من فك رقبته منه. قال الله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ البلد ١١-١٣ .

ولما كان علاج تلك الأمراض هو كعلاج الأجسام، إما بتعاطى الأدوية المُرة الحريفة أو بترك الأطعمة اللذيذة المألوفة، فكذلك علاج تلك الأمراض يجب أن يكون بتكليف المريد أعمال شاقة مؤلمة، وتجريده من حظوظ وشهوات مرغوب فيها، فإذا أبى المريض أن يتعاطى الأدوية المرة ويترك الأطعمة الشهية اللذيذة هلك، وكذلك السالك إذا تكبر أن يقوم بالأعمال التى يأمر بها المرشد، وتكبر عن ترك عوائده وحظوظه التى ينهاه عنها المرشد هلك، ولا يضر إلا نفسه.

لذلك أحببت أن أبين لإخوانى عصمنى الله وإياهم من النزوع إلى الحظ الوبى والشرك

الخفى والظلم الجلى، وأبين لهم أن كل خير نالوه وكل فضل أوتوه، وكل نعمة وصلت إليهم، هى ولا شك بتقدير من الله وفضله، إلا أن الله جل جلاله وتقدست صفاته، لا يدركه جل جلاله إلا هو، وكل من سواه يرى آياته سبحانه فى غيره.

فمن الشرك الخفى والكفر الجلى أن يكفر المرء برسول الله ﷺ، كما فعل أهل الغواية فقالوا: ما وجدناه فى كتاب الله عملنا به وما لم نجده فى كتاب الله تركناه كبراً على رسول الله، وقد أعطى رسول الله القرآن وأكثر من القرآن، وفرض سبحانه علينا طاعته وطاعة رسوله، فطاعته سبحانه وتعالى فيما أنزله فى كتابه، وطاعة رسوله فى ما سنه ﷺ لنا.

وتلك النفوس – نعوذ بالله منها – تصحب الرجل لعلة خفية وحظ خفى، فإذا نالت غايتها أَلْفَتَت الناس إليها، وسعت فى تنقيص المرشد، وهذه النفوس تفعل كذلك مع رسول الله، فتترك سُنته ﷺ وتعمل برأيها، وتعمل ذلك مع الله، فتترك أحكامه وتعمل بما يوافق حظها، وكم من مفارق للكتاب والسُنة وله شيعة يعتقدون أنه أكبر أولياء الله، وهو يعلم حق العلم أنه ما عمل هذا العمل إلا للذته وحظه، أعاذنا الله من مرض لا يعتنى من قام به بمعالجته حتى يهلكه.

لذلك كله أحببت أن أنبه إخوانى إلى المسارعة إلى الطبيب الروحانى، عند الشعور بأعراض المرض خوفاً من الهلاك الأكبر أعاذنى الله وإياهم من الفتن المضلة والأهواء المضلة، وكم أهلك إبليس اللعين رجالاً افتتحوا سيرهم بالإخلاص والصدق.

واعلموا يا إخوانى أن السالك يجب عليه أن يجتهد فى تفريد قصده حتى لا يقصد غير الله تعالى، فقد يبتدئ سيره بالإخلاص موحداً قصده، فيكون المرشد قصده فى بدايته، ليوصله إلى الله تعالى ويبين له طريق الوصول إليه، ويوضح له سنن رسول الله ﷺ، ويناوله من شراب المحبة أرواه ومن المعلوم أنفعها، ومن الأحوال أعلاها، ومن الشوق إلى الله أصفاها، فينزله فى أعلى مراتب قلبه كما قال السالك لأستاذه:

أُحِبُّكَ حُبا لَوْ يفض يَسِيرُه ... علَى النَّاسِ مَاتَ النَّاسُ مِن شِدَّةِ الحُبِّ
وَمَا أَنَا مُوفٍّ بِالذى أَنت أَهْلُهُ ... لأَنَّكَ فِى أَعْلَى المَرَاتِب مِن قَلْبِى

وكما قال ابن حمدون لإمامه سيف الدولة:

فَلَيْتَ الَّـذِى بَيْنـي وَبَيْـنَكَ عَـامِـرٌ وَبَـيَـنْـــى وَبَـيْنَ العـــالمين خَـــرَابُ
وَلَـيْـتَـكَ تَحْلُـــو وَالحَـيَـــاةُ مَـــرِيـــرةٌ وَلَيْتَكَ تَـــرْضَـــى وَالأَنَـــامُ غِـضَـــابُ
إِذَا صَحَّ مِنكَ الـــوَصْلُ فَـــالكُلُّ هَيّنٌ وَكُلُّ الَّـــذِى فَـــوْقَ الـتُّرَابِ تُـــرَابُ

ولا عجب فإن المرشد فى عين السالك كدليل لسائر فى صحراء، لا نجاة له من هولها إلا بالسمع والطاعة له.

والسالك يهلك إن لم يتعود على السمع والطاعة للمرشد، من بدايته إلى نهايته، فى الرخاء والشدة والكسل والنشاط، وما علم وما لم يعلم، ما دام المرشد عاملاً بكتاب الله وبسُنة رسول الله حالاً ومقالاً، فإذا رأى منه ما يجهل حكمته، أسرع إلى المرشد فعرض ما ورد عليه ليبين له ما يطمئن به قلبه، فإن للطريق غوامض أسرار تخفى على كبائر العلماء، بل وعلى أكمل المريدين.

فإذا خطر على قلب سالك خاطر وأخفاه عن المرشد دل على مرض نفسه، وهى النكتة السوداء التى ينكتها إبليس عليه لعنة الله. وكيف يقتدى السالك بإمام يبلغ حبه فيه مبلغاً حتى يفرده بالقصد لنيل سعادته الدائمة، ويلتفت عنه لوارد أو لخاطر قد يكون من إبليس. هذه الأمراض تعترى أهل البُعد عن الله تعالى الذين لم يقدر الله لهم الحسنى السابقة.

ويشبه هذا المرض مرض آخر، أن يكون مقصد السالك تحصيل ما به يكون شهيراً ميسراً له رزقه معظماً بين الناس، فإذا بلغ قصده تحقق بالمرشد جحده، قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ التوبة ٧٤، أعاذنى الله وإياكم من الخلط فى القصد.

ويشبه هذا المرض مرض آخر هو أنكى الأمراض وأشدها على السالك وهو أن يأنس السالك بنفسه فيرى أنه منح لساناً تصغى إليه الآذان، وذوقاً تميل إليه الأجسام، فيكره بحالته المرشد ومداناته لأنه يميل إلى احترام الناس له وتعظيمه، ويبعد من عرفه عن

المرشد ليدوم له الاحترام، وهذا دليل على خبث النفس ونجاستها أو يبعدهم عنه لأنه أفسد عليهم عقائدهم بما بينه لهم من الضلالات، ليتمكن من أموالهم ومن أعراضهم.

ومن ذلك ما حصل من بعض أهل الضلال فى بيان منزلة الفناء التى وضحناها فى باب اصطلاح الرجال فيقول لهم: إن الفناء شهود الأشياء أنها كلها فعل الله، والفعل صفة الفاعل. وهو صريح الكفر.

والأشياء مفعولة بفعل الله ومقهورة بقهر الله، والفعل غير المفعول، وكيف يكون الكون فعل الله تنزه، وهو حادث أبدعه وأوجده بعد أن لم يكن، فالكون كله مخلوق لله تعالى، مقهور به مربوب له سبحانه.

أو يقول لهم: إن الفناء الغيرة على الله من أن يكون الإنسان له عمل أو وجود أو مُلك مع الله تعالى.

والغيرة على الله تعالى ضلال، لأنه لا يغار الإنسان إلا على من يخاف عليه من ضرر غيره، وهو سبحانه قهار قادر، إنما يغار له سبحانه أن يعصى، وأهل الضلال لجهلهم يغارون عليه سبحانه فيقعون فى الكفر، أعوذ بالله تعالى.

فإذا تمكن من قلوب الجهال فيقول لهم: من صلى أو صام أو تقيد بقيود الشريعة أثبت له وجوداً وعملاً مع الله تعالى.

وهذا كفر بالطريق، فيتركون العمل بالشريعة، وإذا قبلوا مُسَلمين له، قال لهم: فكوا قيود الشريعة فى التحريم والتحليل والتمليك والتكليف.

وهى الغاية التى يرمون إليها، بها ينال كل أغراضه من التصرف فى الأموال والأعراض كما يحب، وهؤلاء هم ضُلال الأمة كما قال سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام ١٥٣.

كل تلك البلايا يبتدعها الضلال، ليتمكنوا من رفع ستر الله عن العِرض والمال، ويستندون فى تلك الأباطيل إلى إشارات أهل العرفان، الذين علمهم الله ما شاء، وكاشفهم بما شاء من غوامض أسراره، قال الله تعالى مُشنعاً على هؤلاء القوم: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ آل عمران ٧، وقال جل جلاله مُثْنِياً على أهل العلم بقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ آل عمران ٧.

أما الفناء فقد بينت علومه وأسراره بياناً شافياً فى كتاب " اصطلاح الرجال" وهنا أكشف لكم بعض سره.

الفناء هو التجريد عن لوازم البشرية ومقتضيات الآدمية ونوازع الإبليسية وميول النباتية ودواعى الجمادية، مسارعة إلى الزهد فى الدنيا، والمجاهدة لتلك النفوس بتحمل فادح الآلام صبراً وعزيمة، تشبهاً بالعالم الروحانى، اقتداءً برسول الله ﷺ وبأئمة الهدى حتى يكون ممن أثنى الله عليهم بقوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِى صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ المؤمنون ١-١١، وممن مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِى وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ الفتح ٢٩، من الخشوع فى الصلاة، وإعراضهم عن اللغو، والمسارعة إلى تزكية النفس وحفظ الفرج، ورعاية الأمانة والعهد، والمحافظة على الصلوات فى الآية الأولى، ومن الشدة على أعداء الله والرحمة بالإخوان، ودوام الركوع والسجود ابتغاء فضل الله ورضوانه، وصبغة الله التى تُظْهِر الخشوع على الوجه، إلى آخر معانى الآية الثانية.

بذلك يكون السالك فانياً حقاً - عمن وفيمن - عن نفسه التى تدعوه إلى الشرور وعن أكثر ضروریاته وكمالياته، وفيمن: فى رسول الله ﷺ تشبهاً بأكمل المعانى المحمدية،

وفى الله تفريداً لـه سبحانه بالإلهية والربوبـية، وأما الفناء عن الكمالات المحمدية وعن تنزيه الإله فى الألوهـية والربـوبية، إلى الـرذائل الإبليسـية والإباحـية البهـيمية، والقبـائح البشـرية والحظوظ الآدمية حتى يخلد إلى الأرض وهو مطالب بـأن يشهد ملكوت السماوات والأرض هذا ليس فناء عندهم، ولكنه بلاء على من يحرفون الكَلِم عن مواضعه، رضاء بالحياة الدنيا واطمئناناً بها.

العنايـة والمحبة

العنـاية أزلاً بها نـيل الولاية أبـداً، وإلا فمن آدم فى البداية؟ ومن إبليس فى النهـاية؟ وقد فعل آدم ما نهـاه عنه مولاه، وخـالف إبليس أمـر الله، فتاب على آدم واجـتباه، ولعـن إبليس وأقصاه، ومن سبقت لـه منه سبحـانه الحسنى فقه عن الله المعنى، فـاسألـوا الله العنـاية ليمنحكم الولاية.

قال رضي الله عنه:

تِلْكَ المَحَبَّـةُ تُـوجِبُ التَّقْـرِيبَـا ... والمُـصْـطَفَى نَـاراً غَـدَا مَحْبُـوبَـا
وَالحُبُّ مِن بَـدْءٍ بِهِ البَـدْءُ الَّـذِى ... رَقَّـى مُـرَاداً مُفْـرَداً مَحْبُـوبَـا
وَهِـىَ العِنَـايَـةُ مِن لَـدُنْ بَـدْءٍ إِلَى ... أَن يَـرْتَقِـى فَـيُـنَـاوَلَ المَشْرُوبَـا
أَهْلُ الصَّفَـا بَـدْءاً لَقَـدْ بَلَغُـوا الـرضَـا ... صَـارَ الجَـدِيـدُ لَـدَيْهِـمْ مَـسلُـوبَـا
بِـالعَيْنِ عَيْنِ الـرُّوحِ قَـدْ شَهِـدُوا الـضيـا ... صَـارَ الـسِّـوى عَـن رُوحِهِـمْ مَحْجُـوبـا
بَـدْءاً سَقَـاهُـمْ رَبُّهُـمْ بِـالعَـيْنِ فِى ... قُـدْسِ النَّـزَاهَـةِ رَاحَـةُ المَـنسُـوبَـا
رَاحُ الـتَّقَـرُّبِ بِـالجَـمِيلِ لِحُـظْـوَةٍ ... فيهَـا لَقَـدْ نَـالُـوا الـصَّفَـا تَقْـرِيبـا
فِـيهَـا أَعَـادهـم المُعِيـدُ لِبَـدْئِهِـمْ ... وَجْهُ الجَـمِيلِ يُـرَى لَـدَيْهِ مَهِيبَـا
فِى الفَـصْلِ قَـدْ ثَبَـتَ الـوجـود لَهُمْ بِهِ ... بَعْـدَ الجِهَـادِ أَنَـالهـم تَـرْغِـيبَـا
مِن قَـبْلِ كُن كَـانُـوا جَمَـالَ تَـنَـزُّلٍ ... وَالقَـدْرُ كَـانَ مُقَـدَّسـاً وَمغيبَـا

الفهرس

تمهيد ٥

الباب الأول

بيان الواجبات على المسلم ٦

العلم والإيمان ٦

طريق معرفة الله تعالى ٧

خير نعم الله علينا ٧

النعمة التى تلى الرسالة ٧

الباب الثانى

الأصول التى بها الوصول ٨

أوَّلاً: اتباعه ﷺ ٨

١ تصديقه ﷺ ١٠

٢ امتثال أوامر الله تعالى ١٢

ثانياً: المجاهدة ١٤

معرفة النفس ١٤

عجائب القدرة ١٥

النفس ١٧

جذب العناية للولاية ١٧

الأدب الوارد فى الشهود ١٨

الزم الوارد وإن شهدت كل المشاهد ١٩

الوارد ٢٠

الوارد من أهل الصفا ٢٠

رابعاً: الصحبة فى الله ٢٠
إنما الصحبة بالأدب ٢١
آداب الرجال ٢١
آداب الجلوس مع الأخوان ٢٢
آداب السالك مع نفسه ٢٢
نصيحة المرشد ٢٣
علامة العارفين من آل العزائم ٢٤
أخلاق آل العزائم ٢٤
فقراء آل العزائم ٢٥
آل العزائم وما أدراك ما آل العزائم؟ ٢٧

الباب الثالث

السنة والإجماع والرأى وأسهم الإسلام ٣٠
السُنة ٣٠
الإجماع ٣١
الرأى ٣١
أسهم الإسلام ٣١
حكمة أركان الإسلام ٣٢
حكمة وسائل الصلاة ٣٢
حكمة طهارة الجوارح ٣٢
معنى طهارة الثوب ٣٢
طهارة المكان ٣٣
حكمة دخول الوقت ٣٣

حكمة تخصيص أوقات الصلاة ٣٤
طلب العلم النافع واجب على المسلم ٣٥
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٣٦
الدرجة الأولى ٣٦
الدرجة الثانية ٣٦
الدرجة الثالثة ٣٦
الجهاد ٣٧
خمسة يجب على المسلم معرفتها ٣٧
أصول الكفر أربعة ٣٧

الباب الرابع

واجب الواجبات ٣٨
التوحيد ٣٨
تعريف ٣٨
التوحيد ومآخذه ٣٨
الأمر الأول ٣٨
الأمر الثانى ٣٩
كيف نتلقى التوحيد ٤٠
أول درس من دروس التوحيد ٤٠
الدرس الثانى ٤٠
الدرس الثالث ٤٠
الدرس الرابع ٤٠
أنواع التوحيد ٤١

تفصيل أنواع التوحيد ٤١
توحيد الإقرار ٤١
توحيد العلم ٤١
توحيد الشهود ٤٢
توحيد وجود التوحيد ٤٢
محو التفريد بالتوحيد ٤٣
حقائق التوحيد ٤٣
الحادث والقديم ٤٤
تعريف التوحيد ٤٤
عبارات أهل العلم بالله في التوحيد ٤٤
الخاتمة ٥٣
رسالة الشفاء ٥٤
العناية والمحبة ٦١
الفهرس ٦٢